



568h1
519075

حديقة الخريف
بمطبعة النيل
بمطبعة النيل
بمطبعة النيل

رسالة في مداواة النفوس . وتهذيب الاخلاق
والزهد في الرذائل تأليف الامام النور
الوزير الحافظ الحجة امام النقاد

ابي محمد علي بن احمد بن

سعيد بن حزم الاندلسي

القاهري رحمه الله

تعالى وعنايته

امين

ووجد بطرة الاصل بعد ما تقدم ما اراه :
عما عني بجمعه برسم مطالمة السيد الفقير الى رحمة
ربه الكريم المقر العالي الناصري محمد ولد المقر
المرحوم (يله الله نهاية الآمال وختم له بصالح
الاعمال بمحمد وآله)

(طبع على نفقة الفاضل)

(الشيخ مصطفى القباني الدمشقي سنة ١٣٢٣ هجرية)

مطبعة النيل بشارع محمد علي بمصر

اليه ما اتيت فيه نفسي واجهدتها فيه واطاك فيه فكري
 فياخذ عفواً وأهدية اليه هيناً فيكون ذلك أفضل له من
 كنوز المال وعقد الاك اذا تدبره ويسره الله تعالى
 لاستعماله وأنا راج في ذلك من الله تعالى أعظم اجر ليني
 في نفع عباده واصلاح ما فسد من اخلاقهم ومداواة عال
 نفوسهم وبالله تعالى استعين
 فصل في مداواة النفوس واصلاح الاخلاق الدمية
 لذة العاقل يتميزه . ولذة العالم بطله . ولذة الحكيم بحكمته
 ولذة المجتهد لله عز وجل باجتهاده اعظم من لذة الآكل
 بأكله والشارب بشربه والواطي بوطئه والكاسب بكسبه
 واللاعب بلعبه والامر بأمره . وبرهان ذلك ان الحكيم
 والعاقل والعالم والعامل واجدون لسائر اللذات التي سمينها كما
 يجدها النمل فيها . ويحسونها كما يحسها القمل عليها . وانما
 يحكم في الشئيين من عرفهما لا من عرف احدهما ولم يعرف
 الآخر . اذا تعقبت الامور كلها فسدت عليك وانتهت في اخذ
 فكرتك باضغلال جميع احوال الدنيا الى ان الحقيقة انما هي
 العمل للاخرة فقط لان كل عمل ظهرت به فمقياه حزن . اما

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم رب يسر يا كريم

قال ابو محمد بن علي بن احمد بن سعيد بن حزم النقي
 لاندلسي رحمه الله . الحمد لله على عظيم منته . وصلى الله على
 محمد عبده وخاتم انبيائه ورسله . وأبرأ اليه تعالى من الحول
 والقوة . واستعينه على كل ما يصعب في الدنيا من جميع الخاوف
 والمكاره . ويخلص في الاخرى من كل هول ومضيق (اما
 بعد) فاني جمعت في كتابي هذا معاني كثيرة افادتها واهب
 التميز تعالى بمرور الايام وتغلب الاحوال بما منحني عز وجل
 من التهم بتصاريف الزمان والاشراف على احواله حتى
 انتفت في ذلك أكثر عمري وآرت تقييد ذلك بالمطالعة له
 والفكرة فيه على جميع اللذات التي تيسل اليها أكثر النفوس
 وعلى الازدياد من فضول المال وذهمت كل ما برت من ذلك
 بهذا الكتاب لينفع الله تعالى به من يشاء من عباده ممن يصل

من لا يريد المال ويؤثر عدمه على وجوده ككثير من الانبياء عليهم السلام ومن تلامهم من الزهاد والفلاسفة . وفي الناس من يغضب الذات بطبعه ويستقص طالبها كمن ذكرنا من المؤثرين فقد المال على اقتنائه . وفي الناس من يؤثر الجهل على العلم كما ترى من زرى من العامة . وهذه هي اغراض الناس التي لاغرض لهم - سواها . وليس في العالم مذكان الى ان يتناهى احد يستحسن الهم ولا يريد الا طرحه عن نفسه . فلما استقر في نفسي هذا العلم الرفيع وانكشف لي هذا السر العجيب . وانار الله تعالى امسكري هذا الكنز العظيم . بحثت عن سبيل موصلة على الحقيقة الى طرد الهم الذي هو المطلوب النفيس الذي اتق جميع انواع الانسان الجاهل منهم والعالم والصالح والطالح على السعي له فلم اجدها الا التوجه الى الله عز وجل بالعمل الآخرة . والافانما طلب المال طلابه ليطردوا به هم الفقر عن انفسهم . وانما طلب الصوت (١) من طلبه ليطرد به عن نفسه هم الاستعلاء عليها . وانما طلب الذات من طلبها ليطرد بها عن نفسه هم قوتها . وانما طلب العلم من طلبه ليطرد

(١) الصوت كالصيت والصات والصينة الذكر الحسن

بذهابه عنك واما بذهابك عنه ولا بد من احد هذين البيتين الا العمل لله عز وجل فمقباه على كل حال سرور في عاجل وآجل . اما الما جل فقلة الهم بما يهتم به الناس وانك معظم من الصديق والمدود . واما في الآجل فالجنة . تطلبت غرضا يستوي الناس كلهم في استعسانه وفي طلبه فلم اجده الا واحدا وهو طرد الهم فلما تدبرته علمت ان الناس كلهم لم يستووا في استعسانه فقط ولا في طلبه فقط . ولكن رأيتهم على اختلاف اهوائهم ومطالبهم ومصاداتهم لا يتحركون حركة اصلا الا فيما يرجون به طرد الهم ولا يتعاقون بكلمة اصلا الا فيما يمانون به ازاحته عن انفسهم . فن غطى وجهه - بيلاه - ومن مقارب للخطاه - ومن مصيب وهو الاقل . فطرد الهم مذهب قد اتفقت الامم كلها مذ خلق تعالى الله العالم الى ان يتناهى عالم الابتداء ويعاقبه عالم الحساب على ان لا يعتمدوا بدميهم شيئا - سواه . وكل غرض غيره ففي الناس من لا يستحسنه اذ في الناس من لا دين له فلا يعمل للآخرة . وفي الناس من اهل الشر من لا يريد الخير ولا الا من ولا الحق . ومن الناس من يؤثر الخول بهواه وارادته على بعد الصيت . وفي الناس

بذلك فهو غير مؤثر في ما يطلب . ورأيت ان قصد بالاذى
 سر وان نكته نكبة سر . وان تعب فيها سلك فيه سر . فهو
 في سرور متصل ابدا وغيره بخلاف ذلك ابدا . فاعلم انه
 مطلوب واحد وهو طرد الهم وليس اليه الا طريق واحد
 وهو العمل لله تعالى فاعدا بهذا فضلال وسخف . لا تبدل
 نفسك الا فيما هو اعلى منها . وليس ذلك الا في ذات الله
 عز وجل . في دعاء الى حق . وفي حماية الحرم . وفي دفع
 هوان لم يوجبه عليك خالك تعالى . وفي نصر مظلوم . وبأذل
 نفسه في غرض دنيا كبائع اليافوت بالحصا . لامرودة لمن
 لادين له . الماقل لا يرى لنفسه ثمة الا الجنة . لا بليس في ذم
 الرياء حباله . وذلك انه رب ممتنع من فعل خير خوف ان
 يظن به الرياء

باب عظيم من ابواب العقل والراحة
 وهو طرح المبالاة بكلام الناس واستعمال المبالاة بكلام
 الخالق عز وجل بل هو العقل كله والراحة كلها . من قدر
 انه يلم من طعن الناس وعيهم فهو مجنون . من حقق النظر
 وراض نفسه على السكون الى الحقائق . وان ألها في أول

به عن نفسه هم الجهل . وانما هشا الى سماع الاخبار ومحادثة الناس
 من يطلب ذلك يطرد بهامن نفسه التوحد ومغيب احوال
 العالم عنه . وانما اكل من اكل وشرب من شرب ونكح من
 نكح وليس من ليس ولمب من لمب وكثر من كثر وركب
 من ركب ومشى من مشى وتودع من تودع لطاردوا عن
 انفسهم اضداد هذه الافعال وسائر الهموم . وكل ما ذكرنا
 لمن تدبره هموم حادثة لا بد لها من عوارض تدرض في خلالها
 وتقدر ما يتعذر منها وذهاب ما يوجد منها والعجز عنه لبعض
 الآفات الكثيرة وايضا سؤشح (١) بالحصول على ما حصل عليه
 من ذلك من خوف منافس او طعن حاسد او اختلاس واغيب
 او اقتناء عدو مع الذم والاثم وغير ذلك . ووجدت العمل
 للآخرة سالما من كل عيب خالعا من كل كدر . موصلا الى
 طرد الهم على الحقيقة . ووجدت العامل للآخرة ان امتعن
 بمكروه في تلك السبيل لم يهتم بل يسر اذا رجاؤه في عافية
 ما ينال به عون على ما يطلب وزايد في النرض الذي يقصد .
 ووجدته ان عاقبه عما هو بسبيله عائق لم يهتم اذ ليس مؤاخذا

(١) هكذا في الاصل النقول عنه ولم يظهر توجيه لمعنى العبارة

والذائل والطاعات والمماصبي الانفار النفس وأنسها فقط .
 فالسميد من أنتت نفسه بالنضائل والطاعات ونفرت من
 الرذائل والمماصبي . والشق من أنتت نفسه بالذائل والمماصبي
 ونفرت من القضائل والطاعات . وليس ها هنا الا صنع الله
 تعالى وحفظه . طالب الاخرة متشبه باللائكة . وطالب الشر
 متشبه بالشياطين . وطالب الصوت والغلبة متشبه بالسباع
 وطالب اللذات متشبه بالبهائم . وطالب المال لعين المال لا
 النفقة في الواجبات والنوافل المحمودة أسقط وأذل من ان
 يكون له في شيء من الحيوان شبه . ولكنه يشبه المذمرات
 في الكهوف في المواضع الوعرة لا يفتنع بها شيء من الحيوان .
 الماقل لا يقتبط بصفة يفوقه فيها سبع أو بهيمة أو جماد .
 وانما يقتبط بتمدمه في القضيالة التي ابانه الله بها عن السباع
 والبهائم والجمادات وهي التميز الذي يشارك فيه الملائكة .
 فمن سر بشجاعته التي يضمها في غير موضعها لله تعالى . فليعلم
 ان النمر اجرامته . وان الاسد والذئب والقيل أشجع منه . ومن
 سر بقوة جسمه فليعلم ان البغل والثور والقييل أقوى منه
 جسما . ومن سر بحمله الاثقال فليعلم ان الحمار أحمل منه .

صدمة كان اغتباطه بدم الناس اياه أشد وأكثر من اغتباطه
 بمدحهم اياه . لان مدحهم اياه ان كان بحق وبلغه مدحهم له
 أسرى ذلك فيه المذهب فأفسد بذلك فضائله . وان كان باطل
 فبلغه فسر فقد صار مسرورا بالكذب . وهذا نقص شديد .
 واما ذم الناس اياه فان بحق فبلغه فربما كان ذلك سببا الى تجنبه
 ما يصاب عليه وهذا حظ عظيم لا يزهد فيه الا نافس . وان XXX
 كان باطل ففسر اكتسب فضلا زائدا بالحلم والصبر وكان
 مع ذلك غائما لانه يأخذ حسنات من ذمه بالباطل فيحظى
 بها في دار الجزاء أخرج ما يكون الى النجاة بأعمال لم يتعب
 فيها ولا تكلفها . وهذا حظ رفيع لا يزهد فيه الا مجنون .
 واما ان لم يبلغه مدح الناس اياه فكلادهم وسكونهم سواء .
 وليس كذلك ذمهم اياه لانه غائم للاجر على كل حال بلمه ذمهم
 او لم يبلغه . ولو لا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في التنا
 الحسن : ذلك عاجل يشري المؤمن لوجب ان يرغب العاقل
 في الذم بالباطل أكثر من رغبته في المدح بالحق ولكن اذ جاء
 هذا القول فانما تكون البشري بالحق لا بالباطل فانما تجب
 البشري بما في المدح لا بنفس المدح . ليس بين الفضائل

ومن سر بسرعة عدوه . فليعلم ان الكلب والارنب أسرع عدوا منه ومن سر بحسن صوته فليعلم ان كثيراً من الطير أحسن صوتاً منه . وان أصوات الزمير الذ وأطرب من صوته . فاي غر وأى سرور في ما تكون فيه هذه البهائم متقدمة عليه . لكن من قوي تمييزه واتسع علمه وحسن عمله فليتنبط بذلك . فانه لا يتقدمه في هذه الوجوه الا الملائكة وخيار الناس . قول الله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ~~لا~~ ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) جامع لكل فضيلة لان نهى النفس عن الهوى هو ردها عن الطبع النقيض وعن الطبع الشهواني لان كليهما واقع تحت موجب الهوى فلم يبق الا استعمال النفس للنطق الموضوع فيها الذي به بانت عن البهائم والحشرات والسباع (قول) رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي استوصاه لا تغضب وأمره عليه السلام ان يحب المرء نفسه . ما يحب نفسه . بما مان لكل فضيلة . لان في نهيه عن الغضب ردها عن ذات القوة الغضبية عن هواها وفي أمره عليه السلام ان يحب المرء نفسه ما يحب نفسه ردها عن القوة الشهوانية وجمع لازمه العدل الذي هو

فائدة النطق الموضوع في النفس الجامدة

فصل في العلم

لولا يمكن من فضل العلم الا ان الجهال يهابونك ويحبونك وان العلماء يحبونك ويكرمونك . لكان ذلك سبباً الى وجوب طلبه . فكيف يسائر فضائله في الدنيا والآخرة . ولولا يمكن من نقص الجهل الا ان صاحبه يحسد العلماء ويتبطه نظر ائمه من الجهال . لكان ذلك سبباً الى وجوب الترارعه . فكيف يسائر رذائله في الدنيا والآخرة . لولا يمكن من فائدة العلم والاشتغال به الا انه يقطع المشتغل به عن الوسوس المضنية ومطارد الآمال التي لا تفيد غير الهم وكفاية الافكار المؤلمة للنفس لكان ذلك أعظم داع اليه . فكيف وله من الفضائل ما يطول ذكره . ومن أقفاهما ذكرنا مما عليه طالب العلم وفي مثله أتعب ضعفاء الملوك أنفسهم فتشاغلوا عما ذكرنا بالشطرنج والترو والحز والافغانى وركض الدواب في طلب الصيد وسائر الفضول التي تمود بالفسرة في الدنيا والآخرة . لو تدبر العالم في مرور ساعاته ماذا كفاه العلم من الدل بتسلط الجهال ومن الهم بمغيب الحقائق عنه ومن التبطه بما قد بان له وجهه من

الأمور الخفية عن غيره زاد حمدا لله عز وجل وغبطة بما لديه من العلم ورغبة في المزيد منه . من شغل نفسه بآدنى العلوم وترك إعلاها وهو قادر عليه كان كزراع الذرة في الأرض التي يجود فيها البر وكفارس الشعراء (١) حيث يزكو النخل والزيتون ونشأ العلم عند من ليس من أهله . فسد لهم كاطمامك العسل والحلواء من به احتراق وحس وكثيبتك المسك لمن به صداع من احتدام الصفرء . الباخل بالعلم اليوم من الباخل بالمال لأن الباخل بالمال اشفق من فناء ما بيده والباخل بالعلم يخجل بما لا يفنى على النفقة ولا يفارقه مع البذل . من مال بطبعه إلى علم ماوان كان أدنى من غيره فلا يشغلها بسواه . فيكون كفارس النارجيل بالاندلس وكفارس الزيتون بالهند وكل ذلك لا ينبغي . أجل المعلوم ما قربك من خالقك تعالى وما أعانك على الوصول إلى رضاه . انظر في المال والصحة إلى من دونك . وانظر في الدين والعلم والفضائل إلى من فوقك . المعلوم الغامضة كاللدواء القوي يصلح الأجساد القوية وبهلك الأجساد الضعيفة . وكذلك

(١) الشعراء بوزن حراء شجرة من الخشب ليس لها ورق ولها

حطب تحرس عليها الأبل حرصا شديدا تخرج عبدان شدا إذا لم لسان

العلوم الغامضة تزيد العقل القوي جودة وتصفية من كل آفة . وهلاك ذا العقل الضعيف . من النوص على الجنون . والغاصه صاحبه على العقل . وكان أحكم من الحسن البصري وأفلاطون الأثيني وبرز جهر القارسي . وقف العقل عند أنه لا ينفع أن لم يؤيد بتوفيق في الدين أو يسعد في الدنيا . وقف العلم عند الجهل بصفات الباري عز وجل . لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها ومن غير أهلها فأنهم يحلون ويظنون لهم يعلمون ويفسدون ويظنون أنهم يصلحون . من أراد خير الآخرة وحكمة الدنيا وعدل السيرة والاحتواء على محاسن الاخلاق كلها واستحقاق الفضائل بأسرها فليقتد بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وليستعمل أخلاقه وسيره . ما لم يكنه . أعاننا الله على الانتساء به بمته آمين . غاضني أهل الجهل مرتين من عمري (أحدهما) بكلامهم فيما لا يحسنونه أيام جهلي (والثانية) بسكوته عن الكلام بحضرتي فهم أبدا ساكتون عما ينفعهم . ناطقون فيما يضرهم . وسرتني أهل العلم مرتين من عمري (أحدهما) بتعليمي أيام جهلي (والثانية) بمذاكرتي أيام علمي من فضل العلم والزهد في الدنيا أنها لا يؤتيها الله عز وجل

مؤ فصل في الاخلاق والسير

احرص على ان توصف بسلامة الجانب . وتحفظ من ان توصف بالدهاء . فكثر التخطئون منك حتي ربما اضر ذلك بك وربما قتلك . وطن نفسك على ما تكره . يقل همك اذا اناك ولم تستغفر بتوطينك اولا . وبمظم سرورك وتضاعف اذا اناك ما تحب مما لم تكن قدرته اذا تكررت المصوم . سقطت كلها . الفادر بنى بالحدود . والوفي يقدر بالحدود . والسعيد كل السعيد في دنياه من لم يضطره الزمان الى اختبار الاخوان . لا تفكر فيمن يؤذيكَ فانك ان كنت مقبلا فهو هالك وسعدك بكزيك . وان كنت مدبرا فكلا احديؤذيكَ طوبى لمن علم من عيوب نفسه اكثر مما يعلم الناس منها . الصبر على الجفاء ينقسم ثلاثة اقسام \times قصبر عن يقدر عليك \times ولا تقدر عليه . وصبر عن تقدر عليه ولا يقدر عليك . وصبر عن لا تقدر عليه ولا يقدر عليك . فالاول ذل ومهانة وليس من الفضائل والرأي لمن خشي ما هو اشد مما يصبر عليه التاركة والمباعدة . والثاني فضل وبر وهو الحلم على الحقيقة وهو الذي يوصف به الفضلاء . والثالث : ينقسم

الا اهلها ومستحقها . ومن نقص احوال الدنيا من المال والصوت ان اكثر ما يفتان في غير اهلها وفيمن لا يستحقها . من طلب الفضائل لم يسار الا اهلها ولم يرافق في تلك الطريق الا اكرم صديق . اهل المواساة والبر والسدق وكرم المشيرة والصبر والوفاء والامانة والحلم وصفاء الضمائر وصحة المودة ومن طلب الجاه والمال والذات لم يسار الا امثال الكلاب الكلبة والتمالب الخالبة ولم يرافق في تلك الطريق الا كل عدو (١) المعتد خيث الطيعة \times منفعة العلم في استعمال الفضائل عظيمة وهو انه يعلم حسن الفضائل فياتها ولو في الندرة . ويعلم قبح الرذائل فيجتنبها ولو في الندرة . ويستمتع الشاء الحسن فيرغب في مثله . والثناء الرديء فينفر منه . فعلى هذه المقدمات وجب ان يكون للعلم حصه في كل فضيلة . وللجهل حصه في كل رذيلة . ولا ياتي الفضائل من لم يعلم الا صافي الطبع جدا \times فاضل التركيب \times وهذه منزلة خص بها النبيون عليهم الصلاة والسلام لان الله علمهم الخير كله دون ان يتعلموه من الناس

(١) كذا الاصل ولعل الصواب من المعتد الخ

بان تجعله اليوم فان من قليل الاعمال يجتمع كثيرها وربما
 انجز امرها فبطل الكل . ولا تحقر شيئاً مما ترجوه تنقيل
 ميراثك يوم اليمت ان تجعله الآن وان قل فانه يحط عنك
 كثيراً لو اجتمع القذوب بك في النار . لوجع والقر والنبكة
 والخوف لا يحس اذاها الا من كان معها ولا يعاها من كان
 خارجاً عنها ثم وفساد الرأي والمار ولا تم لا يعلم فبعها الا من
 كان خارجاً عنها وليس بر . من كان داخلها فيها . الامن والصحة
 والتي لا يعرف حقها الا من كان خارجاً عنها . وليس يعرف
 حقها من كان فيها . وجودة الرأي والفضائل وعمل الآخرة
 لا يعرف فضلها الا من كان من اهلها ولا يعرفه من لم يكن
 منها **الاول** من يرهد في القادر من غدر له القادر . واول من لا
 يفت شاهد الزور من شهده له به . واول من تهون الزانية في
 عينه لدي برقي بها . مارينا شيا فسد قعاد الى صحة الا بعد
 التي فكيف بدماغ يتولى عليه فساد السكر كل ليلة . وان
 عدلا رب لصاحبه تعديل سادته كل ليلة لمقل ينبغي ان يهتم .
 قد يحس العاقل بتدبيره ولا يجوز ان يدعد الاحق بتدبيره .
 لاننى اضر على السلطان من كثرة المفرغين حواله . فالخازم

قسمين اما ان يكون الجناء ممن لم يقع منه الا على سبيل القاطط
 ويعلم قبح ما اتي به ويندم عليه . فالصبر عليه افضل وفرض
 هو حمل على الحقيقة . واما من كان لا يدري مقدار نفسه
 ويظن ان لها حقاً يستطيل به فلا يندم على ما سلف منه .
 فالصبر عليه ذل للصابر وافساد للصبور عليه . لانه يزيد استشرار
 والمقارضة له سخف والصواب اعلامه بانه كان ممكناً ان
 ينتصر منه وانه انما ترك ذلك استرذالا له فقط وصيانة عن
 مراجعته ولا يزداد على ذلك وما جواب السفلة فليس
 جوابه الا النكال وحده . من جالس لناس لم يدم هما يوم
 نفسه وانما يندم عليه في معاده وغيظاً ينفج كبده وذلك
 ينكس مته **الفا الظن** بمد بن خالطهم وداخلهم . والذو الراحة
 والسرور والسلامة في الافراد عنهم ولكن اجمعهم كالنار
 تدفأ بها ولا تخافها . لا تحقر شيئاً من عمل غد لان تحقته (١)

(١) قوله لا تحقر شيئاً الخ هكذا في الاصل ولا معنى لهذه العبارة
 على هذه الصفة واظهر انه سقط منها شيء مع تحريف في ابني منها
 وصوابها والله اعلم هكذا (لا تؤخر عمل اليوم الى غد الخ وكذا قوله
 ولا تحقر شيئاً مما ترجوه ولا تؤخر شيئاً الخ تأمل

وورذالة ومعصية . والسخط بما ظلمت فيه او اخذته بغير حقه
 ظلم مكررو . ولدم جزاء ذلك لا الحمد لانك انما تسفل مال غيرك
 على الحقيقة لامالك . واعطاء الناس حقوقهم مما عندك ليس
 جوداً ولكنه حق . حمد الشجاعة بذل النفس للدوت عن
 الدين و الحریم او عن الجار المصطهد وعن المستجير المظلوم
 وعن المضنية ضلماً في المال والعرض وسائر سبيل الحق سواء
 قل من يمرض اوكثر . والصبر عما ذكرنا جبين وخور .
 وبذلها في عرض الدنيا هور وحق . وحق من ذلك من بذلها في
 المنع من الحقوق والواجبات قبلك او قبل غيرك وحق من هؤلاء
 كلهم قوم شاهدهم لا يدرون فيما يبذلون انفسهم فتارة قتالون
 زيداً عن عمرو وتارة قتالون عمرواً عن زيد ولعل ذلك يكون
 في يوم واحد فيعرضون للمهلك بلا معنى فيقتلون لي الناس
 او يغفرون الي المار . وقد انذر بهؤلاء رسول الله صلى الله عليه
 وسلم في قوله : يأتي على الناس زمان لا يدري القاتل فيم قتل
 ولا المقتول فيم قتل . حمد العفة ان تمض بعرك وجميع جوارحك
 عن الاجسام التي لا تحل لك فاعدا هذا فهو عمر . وما نقص
 حتى يحسك عما احل الله تعالى فهو ضعف وعجز . حمد العدل

يشعاهم بما لا يظلمهم فيه فان لم يفعل شئونه بما يظلمونه فيه .
 مقرب أعدائه قاتل نفسه . السهول بروم زي . والا كمبرر
 وقلة الا بساط سنار جعلها . الخيال الدين مكنتهم الدنيا امام
 جمهورهم . تق بالتدين وان كان على غير دينك . ولا تنق
 بالمستخف وان اظهر انه على دينك . من استخف بحرمات
 الله تعالى فلا تامة على شئ . تشق عليه . وجدت الشاركين
 مارواحهم اكثر من المشركين باموالهم . وعلة ذلك طليعة في
 البشر . انما تأنس النفس بالنفس . فلما الجسد قد تنقل بروم
 به . ودليل ذلك استعجال المرء بدفن حبيبه اذا فارقه نفسه
 واسفه لذهاب الدنس ون كانت الجنة حاضرة بين يديه . لم
 ار لا يلبس اصيد من كلين القاهما على السعة دعائه (احدهما)
 اعتذار من اساء بان فلانا اساء قباء (والثانية) ستد بالالسان
 ان ليس اليوم لانه قد اساء أمس . بذل الواجبات فرض .
 وبذل ما فضل عن القوت جود . والاشار على النفس من
 القوت بما لا تهلك على عدمه فضل . ومنع الواجبات حرام .
 ومنع ما فضل عن القوت بحل وشع . والمنع من الاشار ببعض
 القوت جشع . ومنع النفس او الاهل القوت او بعضه تن

الاعمال ذ. أحب عاملها ان يذكرك بها وكاد يكون شرنا لانه
يعمل لغير الله تعالى وهو يطمس التفاصيل لان صاحبه لا يكاد
يفعل الخير حبا للخير لكن ليدكر به . ابلغ في ذمك من
مدحك بما ايسر فيك لانه يه على نقصك . وبلغ في مدحك
من ذمك بما ايسر فيك لانه يه على فضلك واعد انتصر لك
من فضله بذلك وبستهدها الى الاكابر واللائمة . لو عالم النافص
نقصه لكان كاملا . لا يخلو مخلوق من عيب فاسعيد من قلت
عيوبه ودفت . كثر ما يكون مالم تظن فالحزم هو التأهب
لما يظن . فسبحان من رب ذلك ابرى الانسان عجزه وافقاره
الى خالقه عز وجل .

فصل في الاخوان والصدقة والنصيحة به

استبقاك من عاتيك . وزهد فيك من شتهان بشانك
الكتاب للصديق كالسبيلك للسبيكة فاما تصفو واما تطير . من
طوى من اخوانك سره الذي يمينك دونك اخون لك ممن
افشى سره . لان من افشى سره فانما خانك فقط ومن
طوى سره دونك منهم فقد خانك واستخونك . لا ترغب
فيم من يزهد فيك فتحصل على الخلية والخزيرة . لا تزهد فيمن

ان تعطي من نفسك الواجب وتأخذ . وحد جود ان تأخذ
ولا تعطيه . وحد الكرم ان تعطي من نفسك الحق صانعا
وتحيا عن حقك لذرك قادرا . فالفضل انعم و الجود خسر
اذ الحلم فضل وليس جودا والفضل فرض زدت عليه نافلة .
اهمال ساعة يفسد رياضة سنة . خطأ الواحد خير في تدبير
الامور من صواب الجماعة التي لا يجمعها واحد . لان خطأ
الواحد في ذلك يستدرك وصواب الجماعة يضري على
استدامة الاعمال وفي ذلك الهلاك . سوء الظن يمدد نوم
عييا على اصلاح و ايس كذلك الا ادى صاحبه الى مالا
يحل في الديانة او الى ما يفسد في المعاملة والا فهو حزم وحزم
فضيلة . ذيب بعضهم باتلاق ماله فقال . اني لا اضيع منه الا
ما كان في حفظه نقص ديني او اخلاق عرضي . او ايتاب
نفسى . فاني ارى الذي احفظ من هذه الثلاثة وان قل اجل
في الموضوع مما يضع من مالي ولو انه كل ما ذرت (١) عليه
الشمس . افضل نعم الله على العبد ان يطعمه على العدل
وجه وعلى الحق واشاره . من عيب حب الذكر انه يحبط

ولا تشتر نفسك انتظار مقارضة علي ذلك من غير ربك عن
 وجلا لا تبتل لا على ان اول من احسنت اليه اول مضر بك
 . وساع عليك فان ذوي التركيب الخبيثة يفتنون لشدة
 الحمد كل من حسن اليهم ذكرا وذكرا في اعل من حولهم .
 . عامل كل احد في الانس احسن معاملة وضرر الالم عنه .
 ان قلت ببعض الاوقات التي تأتي مع مرور الايام والليالي
 . نفض سالما مسترخيا لا تصح على شرط القبول . ولا تشفع
 على شرط الاجابة . ولا تبس على شرط الالبانة . لكن على
 سبيل استعمال الفضل ونادة ما عليك من النصيحة والشفاعة
 ومن المروف بمحمد الصداقة الذي يدور على طرفي محدوده
 هو : ان يكون المرء بسوءا . ساء لا آخر وبسوءا مائرا .
 فاستغل عن هذا فليس صدقا . ومن حمل هذه الصنعة فهو
 صديق فيما نصح به (وكل ناصح صديق . وليس كل
 صديق ناصحا . وحد النصيحة هو : ان يسوء المرء ماضر
 الآخر ساء ذلك الاحرام مره . وان يسوء مائمه مر
 الآخر ام ساءه . فهذا شرط في النصيحة زائد على شروط
 الصدقة . واقصى مايات الصدقة التي لا مزبد عليها من شراكات

يرغب فيك فانه باب من بواب القلم وترك مقارضة الاحسان
 وهذا فيج . من امتنع بان يحافظ الناس فلا يلق توجهه كله
 في من صعب . ولا يبتل منه لا على انه عدو مناسب . ولا
 يصيح كل غدة الا وهو مترقب من غدر خونه . وسوء
 معاملتهم مثل ما ترقب من العدو المكاشف . فان لم من
 ذل . فقله الحمد . وان كانت الاخرى اني متاهيا ولم تستها .
 ولا يستعمل مع ذلك سوء الممانعة فيالحق بذوي الشرارة من
 الناس واهل الخب منهم لا ولكن هاهنا طريق وعرة السالك
 شاقة التكلف يحتاج سالكها الى ان يكون هدى من القط
 واحذر من المتعق حتى يفارق الناس راحلا الى ربه تعالى وهي
 طريق الفوز في الدين والدنيا وهي ان تتكلم سر كل من دونك
 وان لا تقش في احد من اخوانك ولا من غيرهم ما يتكلمك
 طيه بوجه ما من الوجوه وان كان اخفى الناس بك . واني
 لجميع من ائتمك . ولا تأمن احدا على شيء من امرك تشفق
 عليه الا لضرورة لا بد منها فارتد حينئذ وجهه وعلى الله
 الكفاية . وابدل فضل مالك وجاهلك لمن سالك وبأسالك
 ولكل من احتاج اليك وممكنك نفعه وان لم يمدك بالرغبة

الا انه قد يتفجع به في الاقصار عن الشر والتزبد من الخير وفي
ان يرغب في ذلك الخلق المدحوب من سمعه . بعض انواع
النصيحة بشكل اسره من النجبة لان من سمع النسايا يذم آخر
ضالما له او يكيد . فكم ذلك عن القول فيه والمكيد كان
الكانم لذلك صاماً مذموماً ثم ان اعلمه بذلك كان قد ولد على
الدام والكانم ماله سلفاً مستحقاً له بعد من الاذى فيكون ظالماً
له . وليس من الحق ان يفتن من الغالب باكثر من قدر صدمه
فالما قال في مثال هذا يحفظ القول فيه من القائل دون ان يلجمه
مافال لولا يقع في الاسترسال اليه فهلك . واما في الكيد
فيحفظه من اوجه الذي يكاد منه بالظف ما يقدر في الكتمان
على الكاندوا بن ما يقدر في تحفيظ (١) الكيد ولا يزد على هذا
شأناً . وما لنجمة فهي التبليغ لما سمع مما لا ضرر فيه على المبلغ
اليه . النصيحة صرنا فالوا فرص ودبابة والثانية تنبيه وتذكير
والثالثة توسع وتقرير وليس وراء ذلك الا التكل واللطم
وربما اشد من ذلك من البني والاذى اللهم لا في . ماني الديانة

(١) قوله في تحفيظ حكنا في الاصل ولعل الصواب تحفيظ او

تحفيظ فتأمل .

بنفسه وعمله لغير علة توجب ذلك . يترك على من سواك .
ليس شيء من الفضائل اشبه بالذائل من الاستكثار من
الاخوان والاصدقاء . فان ذلك فضيلة تامة . تركبة لانهم
لا يكتسبون الا بالخل والجود والصبر والوفاء ولا يستفلاخ
والمشاركة والعنة وحسن لدفاع وتعلم العلم وبكل حاله محدودة
ولس انني الاتباع ايام الخدمة لانهم اقرهم عند الحرف والمجتمعين
والمصادفين لبعض الاطماع . ولا التناذرين على الحرف والمجتمعين
على المامى والتبايح ونيل . عرض الناس والفضول وما
لا يندة فيه فليس هؤلاء اصدقاء . لنيل بعضهم من بعض
والخبر بهم عند فقد تلك الرذائل التي جمعهم . وانما نرى اخوان
الصفاء لغير معنى الا لله عز وجل . واذا حصلت عيوب
الاستكثار . منهم وما يلزمك من الحق لهم عند تركبة ترضى
اما يموت او بقرّة او فراق او غدر من يتدر منهم كان السرور
بهم لا يفي بالحزن المفض (١) من اجلهم . وليس في الرذائل اشبه
بالفضائل من محبة المدح فانه في الوجهه سخط ممن يرضى به

(١) أمضه المرح اوجه ومضه لثة فيه ومضه النى مضاً وميضاً

يلغ من قلبه الحزن به كأمضه

فواجب على المرء ردّ النصح رضى المنصوح أو سخط .
 تأذى الناصح بذلك أو لم تأذ . ذا نصحت فالنصح سر الأحرار
 أو بتريض لا نصريح إلا أن لا يفهم المنصوح ندر نصحك فلا بد
 من التصريح . ولا تنصح على شرط القبول منك . فإن تمديت
 هذه الوجوه فانت ظالم لا ناصح وطالب ضاعة ومهلك . لا يؤد
 حق ديانة وأخوة . وليس هذا حكم العدل ولا حكم الصدقة
 ولكن حكم الأمير مع رعيته واليد مع عبيده . لا تكلف
 صديقك الأمثل ما تبذل له من نفسك . فإن حليت أكثر
 فانت ظالم . ولا تكسب إلا على شرط القصد ولا تتول إلا
 على شرط العزل . والا فانت مغر بنفسك خبيث السيوف .
 مسامحة أهل الاستتار والاستتنام والتناقل لهم ليس مروءة
 ولا فضيلة . بل مهانة وضعف ونقصية (١) لهم على التماذي
 على ذلك الخلق الذموم وتبيط لهم به وتول لهم على فعل
 ذلك السوء . وإنما تكون المسامحة مروءة لأهل الانصاف
 المبادرين إلى المسامحة والإيثار فهو لا . على أهل الفضل أن

(١) قوله ونقصية أي أعراء من صرى الكعب . لكسر صرارة

أي تعود وأصر صرارة عوده وأصرده أي أعراء صرارة نصصية هـ

لما لم يلزمهم بتل ذلك لأسباب . كانت حاجتهم لمس وضروهم
 شد (فإن قال قائل) فإذا كان كلامك هذا موجبا لاسقاط
 المسامحة والتناقل الأخوان به ستوى الصديق والمعدو
 والاحبي في المعاملة فهذا فساد ضاهر (فنقول) وبالله التوفيق
 كلما يحضر الأهل المسامحة والتناقل والإيثار ليس لأهل
 النعم لكن للصديق حقاً فإن ردت مكرمة وجه العمل في
 هذا والوقوف على نهج الحق فإن القصة التي توجب الأثرة
 من المرء على نفسه صديقه ينبغي لكل واحد من الصديقين
 أن يتأمل ذلك الأمر دأبها كان أمس حاجة إليه وأظهر ضرورة
 لديه فخكم السداقة والمروءة تقتضي الآخر وتوجب عليه أن
 يؤثر على نفسه في ذلك فإن لم يفعل فهو متعتم مستكثر لا ينبغي
 أن يسمع البتة إذ ليس صديقاً ولا أخاً فاما إذ استوت
 حاجتهما واتفقت ضرورتها فحق الصداقة هاهنا أن يسارع كل
 واحد منها إلى الأثرة على نفسه فإن فعلا ذلك فهما صديقان
 وإن بدر أحدهما إلى ذلك ولم يبادر الآخر إليه فإن كانت
 عادته هذه وليس صديقاً ولا ينبغي أن يساهل معاملة الصداقة
 وإن كان قد يبادر هو أيضاً إلى ذلك في قصة أخرى فهما

نه في الديانة عظيم . فان سمع القول مستضيئاً من جماعة وعلم
ان اصل ذلك القول شائع وليس راجعاً الى قول انسان واحد
او اطاع على حقيقته . لا انه لا يقدر بوقف صدقة على ما وقف
عليه هو . فليخبره بذلك بينه وبينه في رفق . وليزال له : النساء
كثير او حصن منزلك وثقف اهلك او اجتنب امر . كذا
وتخط من وجه كذا . فان قبل النصوح ونحز خط نفسه
اصاب . وان رآه لا يتحفظ ولا يبالي امسك ولم يساوده بكلمة
وتعدي على صداقة . به فليس في ان لا صدقة في قوله ما يوجب
قطيعة . فان اطاع على حقيقة وقدر ان يوقف صدقة على . بل
ما وقف هو عليه من الحقيقة فقرض عليه ان يخبره بذلك وان
يوقفه على الجلية . فان غير ذلك وان رآه لا يخبر احتجب صحبه
ولا خير فيه ولا نية . ودخول رجل مستتر في منزل المرء
دليل سوء لا يحتاج الى غيره . ودخول المرأة في منزل رجل
على سبيل التستر . مثل ذلك ايضا . وطلب دايين اكثر من
ذلك سخط . وواجب ان يجتنب مثل هذه المرأة وفرافها
على كل حال . ومسكها لا يبعد عن الديانة . الناس في بعض
اخلاقهم على تسع مراتب . فطائفة تمدح في الوجه وتدم في

صديقان . من اردت قضاء حاجته بعد ان سالك ابها او اردت
استدائه بقضاها فلا تعمل له الا ما يريد هو لا ما تريد انت والا
فامسك فان تدميت هذا كنت مسيئاً لامحنا ومستحقاً للوم
معه ومن عمره لا للشكر ومقتضياً للمداوة لا للصداقة . لا تنقل
الى صديقك ما يؤلم نفسه ولا يفتع بعمرته فهذا فصل
الارذال . ولا تكنمه ما يستنصر بحيله وهذا فصل اهل الشر
ولا يسرك ان تمدح ما ليس فيك بل ليظهرك بذلك لانه
تقصك بذه الناس عليه ويستههم اياه وسخرية منك وهزؤ
بك ولا يرضى بهذا الا احمق ضعيف العقل . ولا بأس ان
ذممت بما ليس فيك بل امرح به فانه فصلك بذه الناس عليه .
ولكن امرح اذا كان فيك ما تستحق به المدح وسواء مدحت
به او لم تمدح . واحزن اذا كان فيك ما تستحق به الذم فسواء
ذممت به او لم تدم . من سمع قائلاً يقول في امرأة صدقة قول
سوء فلا يخبره بذلك اصلاً لاسباب . اذا كان القاتل عيابة وقاعافي
الناس سايط اللسان او دافع مفرم عن نفسه يريد ان يكثر أهله
في الناس وهذا كثيراً موجود . وبالجملة فلا يحدث الا لسان
الا بالحق . وقول هذا القاتل لا يدري احمق هو أم باطل الا

المعيب وهذه صفة أهل النفاق والعيابين وهذا خلق فاش في
الناس عايب عليهم : وصائفة تدم في المشرب والمعيب وهذه صفة
أهل السلاطة والوقاحة من العيابين وطائفة تدم في المشرب وتدم في
وهذه صفة أهل الملق والطمع : وطائفة تدم في المشرب وتدم في
المعيب وهذه صفة أهل السخف والواكحة . وأما أهل التوصل
فيمسكون عن المدح ولدم في المشاهدة ويثنون بالخير في
المعيب ويمسكون عن الدم . وما العيابين البراء من النفاق
والقحة فيمسكون عن المدح وعن لدم في المشهد والمعيب .
ومن كل من أهل هذه الصمات قد شاهدنا وبلونا . اذ نصحت
ففي الخلاء وبكلام لين ولا تستدسب من تحته إلى غيرك
فتكون تماماً فان خشت كلامك في الدمية فذلك الغراء
وتنفر . وقد قال تعالى : فتولا له قولاً ليلاً . وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تنفر . وإن نصحت بشرط القبول منك
فانت ظالم ولعلك تخطئ . في وجه نصحت فتكون مطالب
بقبول خطئك وترك الصواب . لكل شئ فائدة ولقد استعنت
بمعك أهل الجاهل منعمة عظيمة وهي أنه توعد طبعي واحتدم
خاطري وحى فكفري وتبيح نشاطي فكان ذلك سبباً إلى

تواييف عقيمة الذم ولولا استنارهم ساكني واقتدارهم كامي
ما اجمعت لذلك التواييف . لا تصاهر إلى صديق ولا تباينه
فما رأينا هذين العمايين إلا سبباً للقطيعة . وإن ظن أهل الجاهل
أن فيها تاييداً للصلة فليس كذلك . لأن هذين المقربين
داعيان كل واحد إلى طلب حفظ نفسه . والموترون على انفسهم
فليل جدوا . فإذا اجتمع طلب كل امرئ . حفظ نفسه وقعت
المنازعة ومع وقوعها فساد المروءة . واسلم الماهرة مخبة
مصاهرة الاهاين بعضهم بعضاً لان القرابة تنفخ المدل وإن
كرهوه لانهم مضطرون إلى ما لا اتكالك لهم منه من
الاجتماع في النسب الذي توجب الطيعة لكل احد الذب
عنه والحماية له

فصل في انواع المحبة

وقد سئلت عن تحقيق القول فيها وفي انواعها . المحبة
كلها جنس واحد ورسمها انها الرغبة في المحبوب وكرامة
منافرة والرغبة في المقارضة منه بالحجة . وانما قدر الناس انها
تختلف من اجل اختلاف الاعراض فيها . وانما اختلفت
الاعراض من اجل اختلاف الاطماع وتزايدها ونحاسها

فتكون المحبة لله عز وجل وفيه . والاتفاق على بعض المطالب
والأب وابن القرية والصدق والاطمان ولذات القران
والمحسن والمأمول والممشوق . فهذا كله جنس واحد
اختلفت انواعه كما وصفت لك على قدر الطمع فيما ينال وذلك
اختلفت وجوه المحبة . وقد رأينا من مات اسفا على ولده كما
يموت العاشق اسفا على معشوقه . واتفقنا نحن شفق من خوف
الله تعالى ومحبة فاته . ونجد المرء يمار على سلطانه وعلى
صديقه كما يمار على ذات فرسه وكما يمار العاشق على معشوقه
فادنى طماع المحبة ممن يحب الخطوة منه ورافعة لديه والراية
عنده اذا لم تطعم في اكثر . وهذه غاية صاع الحنين لله ثم
يزيد الطمع في انجاسه ثم في الحادثة والوزر . وهذه اطاع
المرء في سلطانه وصديقه وذوي رحمه . ونفسى اطاع المحب
ممن يحب . الخالصة بالاعضاء اذا رجا ذلك ولذلك نجد المحب
المهرط المحبة في ذات فرسه يرغب في حماها على هيات شتى في
اماكن مختلفة يستكثر من الاتصال . ويدخل في هذا الباب
اللامسة بالجسد والتقبل . وقد يقع بعض هذا الطمع في
الأب وفي ولده فيمدى الى التقبل والتعنيق . وكل ما ذكرنا

نفا هو على قدر الطمع . فاذا انحسم الطمع عن شيء ما بهض
الأسباب الموجبة له مات النفس الى ما تطعم فيه . ونجد
المعروف بالروية شديد الحنين اليها عظيم التروح نحوها لا يفتح
بدرجة نحوها لانه يطعم فيها . ونجد المسكر طامنا نحن نفسه
الى ذلك ولا يتناهى اصلا لانه لا يطعم فيه ونجد يفتقر على
الرضا والحلول في دار الكرامة فقط لانه لا يطعم نفسه في
اكثر . ونجد المستعمل للكاح القريب لا يقع مهن بما يقنع
الحرم لذلك ولا تقف محبة حيث تقف محبة من لا يطعم في
ذلك . فتجد من يستعمل تكاح ابنته وابنة اخيه كالجنوس
واليهود لا يقف من محبتها حيث تقف محبة المسلم بل يجد همها
يتشققان الابوة لابنة لا كتمشقق المسلم فيمن يطعم في غنائته
بالجماع . ولا نجد مسالما يبيع ذلك فيها ولو انها اجمل من
الشمس وكان هو امر الناس وغرلهم قال وجد ذلك في
الندرة فلا يجدد الا من فاسد الدين قد زال عنه ذلك الرادع
فانفسح الامل وانفتح له باب الطمع . ولا يأمن المسلم ان
تفرط محبة لابنة عمه حتى يصير عشقا وحتى يتجاوز محبة لها
محبة لابنته وابنة اخيه وان كانتا اجمل منها لانه يطعم من

غيره أو بعده حتى اذا حدث مطمع في هذه المرتبة حدث له
 من الهم والفكرة والقيظ أمر بما فاده الى تلف نفسه وتلف
 دنياه وأخراة . فاطمع اذا اكمل ذل ولكل هم وهو خلق
 سوء ذميم . وضده نزاهة النفس . وهذه صفة فاضلة مركبة
 من التجددة والجود والمدل والقيم لانه رأى قلة الهائدة في
 استعمال ضدها فاستعملها وكانت فيه نجدة اتجت له عزلة نفسه
 فخره وكانت فيه طيبة سخاوة تقس فلم يهتم لما فاته وكانت
 فيه طيبة عدل حيث اليه القنوع وقلة الطمع . فاذن نزاهة
 النفس متركبة من هذه الصفات . فالطعم الذي هو ضدها
 متركب من الصفات المضادة لهذه لانه صفات وهي الجبن
 والشح والجور والجهل . والرغبة طعم مستوفي متزايد متعمل
 ولولا الطمع ما دل أحد لا أحد . واخبرني أبو بكر بن أبي القياض
 قال كتب عثمان ابن محاس علي باب داره بأسمعه يا عثمان
 لا تطمع

فصل من هذا الباب

من امتحن يقرب من يكره . كن امتحن بصدد من يحب
 ولا فرق إذا دعا المحب في السلو فاجابته مضوونة وهي دعوة

الوصول الى ابنة عمه حيث لا يطعم من الوصول الى ابنته وابنة
 اخيه . وتجند النصراني قد امن ذلك من نفسه من ابنة عمه
 لانه لا يطعم سها في ذلك . ولا يأمن ذلك من نفسه في اخته
 من الرضاعة لانه طامع بها في شرعته . فلا يحذر عيانا ما ذكرنا
 من ان الخمة كلها جنس واحد . اكبرها تختلف انواعها على قدر
 اختلاف الاغراض فيها والافطباع بالبشر كالم واحد الا ان
 للمادة والاعتقاد الدياني تأثيرا صاعرا ولنا نقول : ان الطمع سبب
 له تأثير في هذا الفن وحده . لكننا نقول : ان الطمع سبب
 الى كل هم وحتى في الاموال والاحوال . فاننا نجد الانسان
 يموت جاره وخاله وصديقه وابن عمته وعمه لام وابن خيه
 لام وجده أبو له . وان بنته قاذلة . طمع له في ماله ارقعه عنه
 الهم بقوة عن يده وان جل خطره وعظم مقداره فلا سبيل
 الى ان يمر الاهتمام بشيء منه بباله وذمات له عصبية على بعد
 أو مولى على بعد حدث له الطمع في ماله وحدث له من الهم
 والاسف والقيظ والفكر . بقوت اليسير منه عن يده أمر
 عظيم . وهكذا في الاحوال فتجد الانسان من اهل الطبقة
 المتأخرة لا يهتم لانفاذ غير ماله ور بل يدون أمره ولا لتقريب

ثم الإعجاب وهو رغبة الاطر في المنظور اليه في قرينه . ثم
اللائنة وهي الوحشة اليه اذا تاب . ثم الكلف وهو غلبة شغل
البال به وهذا النوع يسمى في الغزل المشق . ثم الشغف وهو
ممتناع النوم ولا كل والشرب لا البير من ذلك . وربما
أدى ذلك الي المرض او الى التوسوس أو الى الموت . وليس
وراء هذا منزلة في تنامي الحجة أصلاً

فصل ٦

كنا نظن ان المشق في ذوات الحركة والحدة من النساء
أكثر فوجدنا لأمراً بخلاف ذلك وهو في الساكنة الحركات
أكثر مالم يكن ذلك السكون بلها

فصل ٧

في أنواع صباحة الصور وقد سلت عن تحقيق الكلام فيها
(قلت) الخلاوة دقة الحاسن والطف الحركات وخفة الانارات
وقبول النفس لأعرض الصور وان لم تكن ثم صفات ظاهرة
القوم جمال كل صفة على وحدتها ورب جميل الصفات على
انفراد كل صفة منها بارد الطلعة غير ملبح ولا حسن ولا رائح
ولا حلول الروعة بها . الاعضاء الظاهرة . وهي ايضاً القراصة .

مجانة . اقنع بمن عندك بقع بك من عندك . السعيد في الحجة
هو من ابتلى بمن يقدر ان يلقى عليه قلبه ولا تدعه في مواصلة
تبعة من الله عز وجل ولا ملامة من الناس . وصلاح ذلك
ان يتوقفها في الحجة . وتجربره ان يكونا حالين من المال فانه
خلق سوء منفص ونامه يوم الأيام عنها مدة تناع مضعها
ببعض واني بذلك الا في الجنة . وأما ضنانه يبين وليس الا فيها
فهو دار القرار والا فلو حصل ذلك كله في الدنيا لم تؤمن
القبحائع ولتقطع العمر دون استيفاء اللذة . اذا رقت الغيرة
فايقن بارتضاع الحجة . الغيرة خلق فاضل متركب من النجدة
والمعدل . لان من عدل كره ان يتعدى الى حرمة غيره ون
يتعدى غيره الى حرمة . ومن كانت النجدة له ما يما حدثت
فيه عزة . ومن العزة تحدث الائمة من الالهتضام . انخبرني
بعض من صحبناه في الدهر عن نفسه انه ما عرف الغيرة قط
حتى ابتلى بالحببة فقار وكان هذا الخبر فاسد الطمع خبيث
التركيب الا انه من اهل الفهم والجود . درج الحجة خمسة
اولها الاستحسان وهو ان تحتل الناطر صورة المنظور اليه
حسنه او يستحسن اخلاقه وهذا يدخل في باب التصديق .

والمعنى الحسن . وهو شيء ليس له في اللغة اسم يعبر به عنه ولكنه محسوس في النفوس باتفاق كل من رآه . وهو يرد مكسو على الوجه واشراق يستميل القلوب نحوه فتجتمع الآراء على استحسانه وإن لم تكن هناك صفات جميلة فكل من رآه رآه واستحسنه وقبله حتى إذا تأملت الصفات أفراداً لم تر طائلاً . وكأنه شيء في نفس المرء يجده نفس الرائي . وهذا أجل مراتب الصباغة . ثم تختلف الأهواء بعد هذا فمن مفضل الروعة ومن مفضل للعلاوة . وما وجدنا أحداً قط يفضل التواء المنفرد . الملاححة اجتماع شيء بشيء مما ذكرنا هو فصل فيما يتعامل به الناس في الأخلاق .

التلون المذموم هو . التنقل من زبي متكاف لا معنى له إلى زبي آخر مثله في التكلم وفي أنه لا معنى له ومن حال لا معنى لها إلى حال لا معنى لها بسبب يوجب ذلك . فلما من استعمل من الزبي ما أمكنه مما به إليه حاجة وترك المزيد مما لا يحتاج إليه فهذا عين من عيوب العقل والحكمة كثير . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القدوة في كل خير والذي أنشأ الله تعالى على خلقه والذي جمع الله تعالى فيه

شئان الفضائل بنامها وإيمده عن كل نقص . يود المريض مع أصحابه راجلاً في أقصى المدينة بلا خوف ولا نمل ولا فلتسوة ولا عمامة . ويلبس الشعر إذا حضره . ويلبس الوشي من الخبرات إذا حضره لا يتكلف . إلا يحتاج إليه . ولا يترك ما يحتاج إليه . يستغنى عما لا يجد ومرة بشي حافياً واجلاً . ومرة يلبس الخف ويركب البغلة الزائفة الشبيهة . ومرة يركب الفرس . ومرة يركب الدقة . ومرة يركب حماراً ويردف عليه بعض أصحابه . ومرة يأكل التمر دون خبز والخبز بإيسا . ومرة يأكل المتناق (١) المشوية والبطايخ بالوطب والحلواء يأخذ الثوت ويبدل الفضل ويترك ما لا يحتاج إليه ولا يتكلف فوق . مقدار الحاجة ولا يفض لنفسه ولا يدع الغضب لربه حتى وجل . الثبات الذي هو صحة العقدة . والثبات الذي هو اللجاج يشبهان اشتباههما لا يفرق بينهما إلا عارف بكيفية الأخلاق . والفرق بينهما أن اللجاج هو ما كان على الباطل أو ما فعله الفاعل نصراً لما نسب فيه وقد لاح له فساد أولم يلح له صوابه ولا فساد . وهذا مذموم . وضده الانصاف

(١) المتناق كصحب الأبي من أولاد المر

في قصة ويعقل في أخرى ويحقق في ثالثة - وضد الجنون
 يتميز الانبياء ووجود القوة على التصرف في المعارف والصناعات
 وهذا الذي يسميه الاولائل النطق ولا واسعة بينهما . ولما
 احكام امر الدنيا والتودد الى الناس بما وافقهم وصلحت عليه
 حال التودد من باطل او غيره او عيب او ماعدهاء والتحويل في
 ابناء المات وبعد الصوت ونمشية الجاه كل ما امكن من معصية
 وورذيلة فليس عقلا . ولقد كان الذين صدقهم الله في انهم
 لا يعقلون واخبرنا بانهم لا يعقلون سائسين لدينا هم مشريرين
 لا مود لهم حافظين لرباسهم لكن هذا الخلق يسمى الدهاء
 وضده العقل والسلامة ، ولما ادا كان السعي فيها ذكرنا عما
 فيه تصادون واثفة فهو يسمى الخزم . وضده المنافى له التضيق
 وما الوفاء . ووضع الكلام موضعه والتوسط في تدبير الميضية
 ومباراة الناس بالمسالة وهذه الاخلاق تسمى الرزانة . وهي
 ضد السخف . الوفاء مركب من العدل والجود والنجدة .
 لان الوقي رأى من الجود ان لا يمارض من وثق به او من
 احسن اليه بعدل في ذلك . ورأى ان يسمح بما جمل يقتضيه
 له عدم الوفاء من الحظ فجاء في ذلك ، ورأى ان يجاهد لما يقع

ولما الثبات الذي هو صحة العقدة فانما يكون على الحق او على
 ما اعتقده المرء حقاً ما لم يبلغ له باطله . وهذا محمود . وضده
 الاضطراب . وانما يلام بعض هذين لانه ضيع تدبر ما بات
 عليه وترك البحث عما التزم احق هو ام باطل . ضد العقل
 استعمال الطاعات والهذائل وهذا . لحد ينطوي فيه اجتناب
 المعاصي والردائل وقد نص الله تعالى في غير موضع من كتابه
 على ان من عصاه لا يعقل (وقال) الله تعالى حاكماً عن قوم وقالوا
 لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير . ثم قال تعالى
 مصداقاً لهم فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لاصحاب السعير . و ضد
 الحق استعمال المعاصي والردائل . ولما التعدي وفذق الحجارة
 والتخاليط في القول فانما هو جنون ومرار هائج . ولما الحق
 فهو ضد العقل وهما ما ينادى انما ولا واسطة بين العقل والحق
 الا السخف . و ضد السخف هو العمل والقول بما لا يحتاج
 اليه في دين ولا دنيا ولا حيد خلق مما ليس معصية ولا طاعة
 ولا عونا عليها ولا فضيلة ولا رذيلة مؤذية ولكنه من هذر
 القول وفصول العمل . فلي قدر الاستكثار من هذين الامرين
 والتفقل منهما يستحق المرء اسم السخف . وقد يسخف المرء

فمن هذه ركبت غيرها فمن حازها فهو في الناس راس.
 كذا الراس فيه الامور التي باحسانها يكشف الالتباس.
 في النفس فضيلة تركبت من النجدة، وكذلك الصبر.
 والحلم نوع مفرد من انواع النجدة. والقناعة فضيلة مركبة
 من الجود والعدل. الشراء متولد عن الطمع. والطمع متولد
 عن الحسد. والحسد متولد عن الرغبة. والرغبة متولدة عن
 الجور والشح والجهل (الحرص) ويتولد من الحرص (ذائل
 عظيمة منها الدل والسرقة والنصب والزنا والقتل والمشق والحلم
 بالعقر والمنة لما يابدى الناس. ونما فرقنا بين الحرص والطمع
 لان الحرص هو - اظهار ما استمكن في النفس من الطمع -
 (والمداواة) فضيلة متراكبة من الحلم والصبر. الصدق مركب
 من العدل والنجدة. لاثني، اتبع من الكذب وما طنك
 بعيب يكون الكفر نوعا من انواعه فكل كفر كذب
 فالكذب جنس الكفر نوع محته. (الكذب) متولد من
 الجور والجهل. لان الجبن يولد مهانة النفس والكذاب
 مهين النفس بعيد عن عزها المحموده. رايت الناس في كلاهم
 الذي هو فصل بينهم وبين الخير والكلاب والحشرات

من عاقبة الوفاء فشجع في ذلك (اصول) الفضائل لورثة عنها
 تتركب كل فضيلة وهي العدل والفهم والنجدة والجود (اصول)
 الذائل كلها اربعة عنها تتركب كل رذيلة وهي اصداد الذي
 ذكرنا وهي. الجور والجهل والجبن والشح الامانة والعفة
 نوعان من انواع العدل والجود قال ابو محمد علي بن احمد ممد
 قلته في الاخلاق

انما العقل بالعلم لم والا فهو يور
 جاهل الاشياء اعشى لا يرى كيف يدور
 وتنام المسلم بالمد ل والا فهو زور
 وزمام العدل بالجود والا فيجور
 وملاك الجود بالنجدة والجبن غرور
 عفا ان كنت غيو را مازنى قط غيور
 وكال الكل بالتقوى وقول الحق نور
 ذي اصول الفضل منهم - احدث بعد النذور
 ومما قلته ايضا

اصول النفس - اتل عدل وفهم وجود وباس
 جميع

فقول الدنيا. إياك ومواقفة الجليس السي ومساعدة أهل زمانك
 فيما يضرك في آخرك أو في دينك وإن قال فإياك لا تستفيد
 بذلك إلا التندامة حيث لا ينفعك الندم . ولن يحمذك امرؤ
 ساعدته بل يشمت بك . وأقل ذلك وهو المضبوط أنه
 لا يبالي . و . عافبك وفساد مخبتك . وإياك ومخانة الجليس
 ومعارضة أهل زمانك في . ألا يضرك في دينك ولا في
 آخرك وإن قال فإياك تستفيد بذلك الأذى والمنافرة والعدوة
 وربما أدى ذلك إلى المطالبة والضرر العظيم دون منفعة أصلا
 إن لم يكن بد من الغضب الناس و غضاب الله عز وجل ولم
 يكن لك مندوحة عن منافرة الحاق ومنافرة الحق فأغضب
 الناس وناوهم . ولا تغضب ربك ولا تنافر الحق . الانساء بالنبي
 صلى الله عليه وسلم في وعظه أهل الجاهل والمعاصي والذائل
 واجب . فن وعظ بالجفا ولا كهمر ار فقد اخطأ وتمسدى
 طريقة صلى الله عليه وسلم وصار في أكثر الامر مغريا للوعوظ
 بالتمادي على أمره لجأوا حرجا ومنايضة للوعظ الجافي فيكون
 في وعظه سببا لا محسنا . ومن وعظ بشر وبسم ولين كأنه
 مشير برأي ومخير عن غير الموعوظ بما يستقيح من الموعوظ

ينقسمون أقساما ثلاثة (أحدها) من لا يبالي فيما ينفع كلامه
 فيتكلم بكل ما سبق إلى إسنائه غير محقق نصر حق ولا انكار
 باطل وهذا هو الأغلب في الناس (والثاني) من يتكلم ناصرا
 لما وقع في نفسه أنه حق . ودافعا لما تورم به باطل . غير محقق
 لطلب الحقيقة لكن لجأ فيها للزعم وهذا كثير . وهو دون
 الأول (والثالث) واضع الكلام في . ووضعه وهذا عز من
 الكبريات الأحمر له حال محم من غاظه الحق . نشان عظمت راحتهما
 أحدهما في غاية المدح . والآخر في غاية اللد . ومهما مطرح
 الدنيا ومطرح الحياء . من عجيب تدبير الله عز وجل للعالم أن
 كل شيء استندت الحاجة إليه كان ذلك أهون له . وتأمل
 ذلك في الماء فافوته وكل شيء استند النقي عنه كان ذلك عز
 له . وتأمل ذلك في الياقوت الأحمر فما دونه الناس فيما يعانون
 كاللشي في القلاة كلما قطع أرضا بدت له أرضون . وكلما قصد
 المرء سببا حدث له أسباب . صدق من قال إن العاقل في
 الدنيا متموب . وصدق من قال أنه فيها مستريح . فاما تبه
 فيما يرى من انتشار الباطل وغلته دولته وبما يحال بينه من
 مظهر الحق . وأما راحته فن كل ما يهتم به سائر الناس من

الفاضل يود لو كان الناس فضلاء، وترى كل من ذكر شيئاً
يحبس عليه يقول أو قل أمراً وما وكل ذي مذهب يود
لو كانت الناس موافقين له وترى ذلك في الفاضل إذا حال
بعضها على بعض أحاله إلى نوعيته وترى ذلك في تركيب
الشجر وفي تندي النبات والشجر والماء ورطوبة الأرض
وإحالتها ذلك إلى نوعيتها فسبحان مخترع ذلك ومدبره لا اله
إلا هو (من عجب) قدرة الله تعالى كثرة الخلق ثم لا ترى
أحدًا يشبه آخر شيئاً لا يكون بينهما فيه فرق وقد سألت من
صال عمره وبنات الثمانين عاماً هل رأى الصور في ما خلا مشبهة
لهذه شيئاً واحداً. فقال لا بل لكل صورة فرقة ومكثنا كل
ما في العالم يعرف ذلك. من تدبر الآلات وجميع الأجسام
المركبات وصال تكرور بصره عليها. فإنه حينئذ يميز ما بينها
ويعرف بعضها من بعض بفروق فهذا تعرفها النفس ولا يقدر
أحد بدمر عنها بلسانه فسبحان العزيز الحكيم الذي لا تناهى
مقدوراته

﴿فصل في مداواة ادواء الاخلاق العاسدة﴾

من امتحن بالمعجب فليفكر في عيوبه . فان اعجب

فذلك المنع وانجم في الموعظة . فان لم ينتقل فلينتقل إلى الموعظة
بالتعشيم وفي الخلاه . فان لم يقبل ففي حضرة من يستحي منه
الموعوظ . فهذا ادب الله في امره بالقول اللين . وكان صلى
الله عليه وسلم لا يواجه بالموعظة لكن يقول : ما بال اقوام
يفعلون كذا . وقد اتى عليه الصلاة والسلام على الرفق .
وابر بالنيب . ونهى عن التنفير . وكان يحول بالموعظة
خوف الملل . (وقال) تعالى : ولو كنت فظاً غليظ القلب
لانفضوا من حولك . (وما) العظاظة والشدّة فانما تجب في
حد من حدود الله تعالى فلا ين في ذلك للقادر على اقامة
الحد خاصة . ومما يجنب في الموعظة أيضاً التناء بمحصرة المسمي
على من فعل خلاف فعله . فهذا داعية الى عمل الخير وما اعلم
لحب المدح فضلاً الا هذا وحده . وهو ان يقتدي به من يسمع
التناء ولهذا توجب ان تؤرخ الفضائل والذائل لينفر سامعها
عن التقيج المأثور عن غيره ويرغب في الحسن المنقول عن
تقدمه ويتعظ بما سلف . ونامت كل مادون السماء وطالت
فكرتي فوجدت كل شيء فيه من حي وغير حي طبعه ان
قوى ان يقلع عن غيره من الانواع كقباته ويلبسه صفاته فتري

بفصلاته فليفتش ما فيه من الاخلاق الدينية . فان خفيت عليه عيوبه جملة حتى يظن انه لا عيب فيه فليعلم ان مصيبتة الى لا بد وانه اسم الناس نقصاً واعظهم عيوباً واضعفهم تيزراً وأول ذلك ان ضعيف العقل جاهل . ولا عيب اشد من هذين لان العاقل هو من ميز عيوب نفسه فقالها وسعى في قمعها . والاحق هو الذي يحيل عيوب نفسه اما لقله علمه وتميزه وضعف فكرته . واما لانه يقدر ان عيوبه خصال وهذا اشد عيوب الارض . وفي الناس كثير يفخرون بالزنا والباطل والسرقة والظلم فيمجب ثأني هذه النحوس له وقوته على هذه المحازي (واعلم) يقينا انه لا يسد بابي من نقص حاشا لانياء صلوات الله عليهم فمن خفيت عليه عيوب نفسه فقد سقط وصار من السخف والضعف والذالة والخسة وضعف التميز والعقل وقلة الفهم بحيث لا يخلف عنه متخلف من الارذال وبحيث ليس تحت منزلة من الدناءة فليتدارك نفسه بالبحث عن عيوبه والاشتغال بذلك عن الاعجاب بها وعن عيوب غيره التي لا تنصره لافي الدنيا ولا في الآخرة . وما ادري لسماع عيوب الناس خصلة الا الاتعاظ بما يسمع المرء منها فيجتنبها

وليس في ازالة ما فيه منها بحول الله تعالى وقوته (واما) الحق يعيوب الناس فريب كبير لا يسوغ اصلا والواجب اجتنابه الا في نصيحة من يتوقع عليه الاذى بمداخلة المصيب أو على سبيل تكيت المجرب فقط في وجهه لا خلف ظهره ثم يقول للمعجب ارجع الى نفسك فاذا ميرت عيوبها فقد داويت عيبك ولا تمثال بين نفسك وبين من هو اكثر عيوباً منها فتسهل الرذائل وتكون قلة الالاهل الشر وقد ذم تقليد اهل الخير فكيف تقليد اهل الشر . لكن . مثل بين نفسك وبين من هو افضل منك فيتمتد باسم عيبك وتتيق من هذا الداء القبيح الذي يولد عليك الاستغفاف بالناس وفيهم بلا شك من هو خير منك فاذا استخففت بهم لمغير حق استخفوا بك بحق لان الله تعالى يقول . وجزاء سيئة سيئة مثلها . فتولد على شك الاستخفاف بك بل على الحقيقة مع مقت الله عز وجل وطمس ما قبلك من فضيلة . فان اعجبت بعقلك فتفكر في حل فكرة - سوء : تحمل بخاطرك وفي اضالال الاماني الطائفة بك فمالك تعلم ان نقص عقلك حينئذ . وان عجبت بآرائك فتفكر في سقاةك واحفظها ولا تنسها وفي كل رأي

أعوام واعلم ان كثيرا من اهل الحرص على العلم يجدون في
 القراءة والأكباب على الدروس والطلب ثم لا يرزقون منه حظا
 فليعلم ذو العلم انه لو كان بالأكباب وحده لكان غير موفقه (١)
 فصح انه . و هبة من الله تعالى فاني مكان للمعجب هاهنا ما هذا
 الاموضع تواضع وشكر لله تعالى واستزادة من نعمه واستفادة
 من سلها . ثم تفكر ايضا في ان ما خفي عليك وجهته من
 انواع العلم ثم من اصناف علمك الذي تختص به فالدي اعجبت
 بماذاك فيه اكثر مما تعلم من ذلك فاحمل مكان المعجب استنفاضا
 لنفسك واستقصارا فهو اولي . وتفكر فيمن كان اعلم منك بخدمهم
 كثيرا فلهم تفكر عندك حينئذ وتذكر في اخلااك بملكك
 وانك لا تعمل بما علمت منه فعلمك عليك حجة حينئذ ولقد
 كان سلم لك لو لم تكن عالما واعلم ان الجاهل حينئذ اعلم منك
 واحسن حالا واعذر فادق عجبك بالكفاية ثم لعل علمك
 الذي تعجب بنفاذك فيه من العلوم المتأخرة التي لا كبير خصلة
 فيها كالشعر وما جرى مجراه . وانظر حينئذ الى من علمه
 اجل من علمك في مراتب الدنيا والآخرة فهو نفسك

قدرته صوابا يخرج بخلاف تقديرك واصاب غيرك واخطأت
 انت . فانك ان فطنت ذلك فأقل آخوالك ان يوازن سقوط
 رايك صوابه فتخرج لالك ولا عليك ولا غلب ان خصاك
 اكثر من صوابك وهكذا كل احد من الناس بعد النبيين
 صلوات الله عليهم . وان اعجبت بخيرك فتفكر في معاصيك
 وفي تقصيرك وفي معاييك ووجوهه فوالله لتجدن من ذلك
 ما يغلب على خيرك ويضي على حسناتك فليطل همك حينئذ
 وابدل من العجب تقصا لنفسك . وان اعجبت بملكك فاعلم
 انه لا خصلة لك فيه وأنه . و هبة من الله مجردة وهبك ايها
 ربك تعالى فلا تقابلها بما يستخطه فاهله بنسبك ذلك بيلة تتعنتك
 بها تولد عليك نسيان ما علمت وخففات . ولقد اخبرني عبد
 الملك ابن حاريف وهو من اهل العلم والذكاء واعتدال
 الاحوال وصحة البحث نه كان ذا حظ من لحفظ عظيم لا يكاد يمر
 على سمعه شيء يحتاج الى استمادته ونه ركب البحر فرب فيه هول
 شديد انساء اكثر ما كان يحفظ واخذ بقوة حفظه اخلا لا
 شديدا لم يعاوده ذلك الدكاء بعد . وانا اصابتني علة فافقت
 منها وقد ذهب ما كنت احفظ الا ما لا قدر له فما عاودته الا بعد

هذه الشربة بكم كنت ترضى ن يتاعها فقال له الرشيد عليك
كله . قال يا امير المؤمنين فلو منمت خروجها منك بكم كنت
ترضى ان تقتدي من ذلك قال بملكى كله . قال يا امير المؤمنين
انقبض بملك لا يساوي بوله ولا شربة ماء . وصدق ابن السكك
وحبه الله . وان كنت ملك المسلمين كلهم فاعلم ان ملك السودان
وهو رجل اسود مكشوف المودة جاهل بملك اوسع من
ملكك . فان قلت انا اخذته بحق فلمعري ما اخذته بحق اذا
استمكت فيه رذيلة العجب واذا لم تعدل فيه فاستحي من
حالك هي حاله رذالة لاحالة يحب العجب فيها . وان اعجبت
بملك فهذه اسوء مراتب العجب فانظر في كل ساقط خسيس
فهو اغني منك فلا تنقبض بحاله يفوقك فيها من ذكرت
(واعلم) ان عجبك بالمال حق لانه احجار لا تنفع بها الا ان
تخرجها عن ملكك بنفقتها في وجهها فقط والمال ايضا غاد ورأى
وربما زال عنك ورأيت بعينه في يد غيرك ولعل ذلك يكون
عدوا . فالعجب بمثل هذا سخف والفتنة به غرور وضعف .
وان اعجبت بعجبك ففكر فيما يولد عليك مما نستحي نحن من
آيانه وتستحي انت منه اذا ذهب عنك بدخولك في السن

عليك . وان اعجبت بشجاعتك فتفكر فيمن هو شجع
منك ثم انظر في تلك النجدة التي منحك الله تعالى فيمصرفها
فان كنت صرفتها في معصية فانت احق لامك بذلك نفسك
فيما ليس ثمناً لها . وان كنت صرفتها في طاعة فقد فسدتها
بعجبك ثم تفكر في زوالها عنك بالشيخوخة والركن عشت
فستصير من صدد اليال وكالسي ضعفاً . على اني ما رأيت
العجب في طابئة اقل منه في اهل الشجاعة واستدلت بذلك
على نزاهة انفسهم ورفعتها وعلوها . وان اعجبت بنجاحك في
ديارك فتفكر في مخالفاتك واندائك ونظر انك ولعلم اخاء
وضعا . سقاط فاعلم انهم امثالك فيما انت فيه ولعلم نحن
يستحي من التشبه بهم لمرط رذالتهم وخساستهم في انفسهم
واخلافتهم ومناياتهم فاستحسن بكل منزلة شاركك فيها من
ذكر وان كنت ملك الارض كلها ولا تخالف عليك وهذا
بميد جدا في الامكان فما نعلم احدا ملك معور الارض كله
على فلتة وصيق ساحته بالاضافة الى غامرها فكيف اذا اضيف
الى الفلك المحيط فتفكر فيما قال ابن السكك للرشيد وقد دعا
بمحضرته بقدر فيه ماء ليشربه فقال له يا امير المؤمنين فلو منمت

الطحال شديداً فولد ذلك على من الضجر وضيق الخناق وقلة
الصبر والنزق اسرا جاشت قسي فيه اذا انكثرت تبدل خافق
واشتد عجبى من مفارقتى لطبى وصح عندي أن الطحال
موضع الفرح اذا فسد تولد ضده . وان اعجبت بنسبك فهذه
اسوء من كل ما ذكرنا لان هذا الذي عجبته به لا فائدة له اصلا
في دنيا ولا آخرة ونظر هل يدفع عنك جوعه ويستر لك
عورة او ينفعك في آخرتك ثم انظر الى من يباهمك في نسبك
وربما فيها هو اعلی منه عمن ناله ولادة الانبياء عليهم السلام
ثم ولادة الصلوة من الصحابة والماء ثم ولادة ملوك المعجم
من لا كسرة والقيصرة ثم ولادة التباينة وسائر ملوك
الاسلام فامل غيرهم وبقاياهم ومن يدلى بمثل ماتدلى به من
ذلك نجد اكثرهم امثال الكلاب خساسة وتلقهم في غاية
السقوط والذل والتبدل والتحل بالصدمات المدمومة ولا تقتبط
بجزلة ثم فيها نظر ذك او فوقك . ثم لعل الآباء الذين تتخبرهم
كانوا فسادا وشرية خمور ولا طه ومعتين ونوكي اطلقت الايام
ايديهم بالظلم والجور فحجوا اصلا واراء قبيحة تبقى عارهم بذلك
الايام ويمظم انهم والندم عليها يوم الحساب . فان كان كذلك فاعلم

وفيا ذكرنا كفاية . وان اعجبت بمدح اخوانك ففكر في
ذم اعدائك اياك فحينئذ يحل عنك العجب . فان لم يكن لك
عدو فلا خير فيك ولا منزلة اسقط من منزلة من لا عدو له
فليست الا منزلة من ليس لله تعالى عنده نعمة يحسد عليها
عافانا الله . فان استعقرت عيوبك ففكر فيها ولو ظهرت لي
الناهي وتمثل حلالهم عليها فحينئذ تحجل وتعرف قدر نقصك
ان كانت لك مسكة من تمييز (و علم) بانك ل تملأت كيفية
تركيب الطابع وتولد الاخلاق من امتزاج عناصرها لمحموله
في النفس فستقف من ذلك وقوف يقين على ان فضائلك
لا خصلة لك فيها وانما منع من الله تعالى لو منحها غيرك لكان
مثلث وانك لو وكلت لي نفسك لمجزت وهلكت فاجعل
بدل عجبك بها شكر الوهيبك اياها واشفاقا من زو لها فقد
تغير الاحلاق الحيدة بالمرض وبالفقر وبالخوف وبالنصب
وبالهرم . وارحم من منع مامنت ولا تتعرض لروال مابك
من النعم بالتواصي على واهها تعالى وبان تحمل لنفسك فيها
وهبك خصلة او حقا فتقدر لك استغيت عن عصمته فهلك
عاجلا واجلا . ولقد اصابني علة شديدة ولدت على ربوا في

رشدية (١) من كان النامية في رياسة الدنيا كزياد واني مسلم ومن
كان نهاية في الفضل على الحقيقة كبعض من بحله عن ذكره في
مثل هذا الفضل ممن يتقرب الى الله تعالى بحبه والاقتداء
بحميد آثاره . وان اعجبت بقوة جسمك فتفكر في ان البغل
والحمار والثور أقوى منك وأهل للأعمال . وان اعجبت
بمخترك فاعلم ان الكلب والارنب يفوقانك في هذا الباب فمن
المعجب المعجيب اعجاب ناطق بمخلة يفوقه فيها غير الناطق
(واعلم) ان من قدر في نفسه عيياً أو ظناً لمسا على سائر الناس
فضلاً فيلنظر الى صبره عند ما يدهمه من هم أو تكة أو وجع
أو دمل أو مصيبة فإن رأى نفسه قايلاً الصبر فليعلم ان جميع
أهل البلا من مخزوم وغيرهم الصابرون أفضل منه على
تأخر طبعهم في التميز وإن رأى نفسه صابرة فليعلم انه لم يأت
بشيء يسبق فيه على ما ذكرنا بل هو إما متأخر عنهم في ذلك
أو مساو لهم ولا مزيد . ثم لينظر الى سيرته وعدله أو وجوده

(١) قال في اللسان وهو لرشدية وقد يفتح وهو قيد زنية وفي

الحديث من ادعى ودا بر رشدية فلا يرث ولا يورث: يقال هذا ولد
رشدية اذ كان شكاخ صحيح كما يقال في صده ولد زنية بالكسر مبهما
ويقال بالفتح وهو افصح اللغتين

ان الذي اعجبت به من ذللت داخل في الميب والخزي والمصار
والشمار لافي الاعجاب . فان اعجبت بولادة الفلاء اياك فما
اخلا بدك من فضيلهم ان لم تكن أنت فاضلاً . وما اقل غناهم
عنك في الدنيا والآخرة ان لم تكن محسناً . والناس كلهم
أولاد آدم الذي خلقه الله بيده وأسحكه جنته واسجد له
ملائكته ولكن ما اقل نعمه لهم وفيهم كل عيب وكل فاق
وكل كافر واذا فكر الماقل في ان فضل آياته لا تقربه من ربه
تعالى ولا يكسبه وجاهة لم يزهها هو بسعده أو بفضله في
نفسه ولا ماله فاي معنى للاعجاب بما لا منعمة فيه وهما
المعجب بذلك الا للمعجب بما لا جاره وبجاه غيره وبفرس لغيره
سبق كان على رأسه لجامه كما تقول المنة في أمثالها: كالنبي
يزهى بذكابه . فان تمدى بك المعجب الى الامتداس فقد
تضاعف سقوطك لانه قد عبر عقلك عن مفاخرة ما نيك من
المعجب هذا ان امتدحت بحق فكيف ان امتدحت بالكذب
وقد كان ابن نوح وابو ابراهيم وابو لمب عم النبي صلى الله
عليه وسلم أقرب الناس من افضل خلق الله تعالى وممن الشرف
كله في اتباعهم فما انتصموا بذلك . وقد كان في من ولد لغير

في البيوت التي يتخذ لها الملوك أمن شرها - والنفس وان سجن
 لم يؤمن شرها . (المعجب) أصل يتفرع عنه التيه ولزهو
 والكبر والبخوة والتعالى وهذه أسماء وقعة على معان متقاربة
 ولذلك صمب الفرق بينها على كثير الناس . فقد يكون المعجب
 لتفضيلة في المعجب ظاهرة . فمن معجب بعمله فيكفر
 ويتعاق على الناس . ومن معجب بعلمه فيترفع ويتعالى .
 ومن معجب برأيه فيزهو (١) على غيره . ومن معجب بنفسه
 فيتيه . ومن معجب بمجاهه وعلو حاله فيتكبر ويتعنى . وأقل
 مراتب المعجب ان تراه يتوقر عن الضحك في مواضع وعن
 خفة لحركات وعن الكلام الا فيما لا بد له منه من امور دينيه
 وعيب هذا اقل من عيب غيره . ولو فعل هذه الأفاعيل على
 سبيل الاقتصاد على الواجبات وترك الفضول لكان ذلك
 فضلا وموجبا لخدم والكرن انما يفعلون ذلك احتقارا للناس
 واعجابا بانفسهم فحصل لهم بذلك استحقاق الذم . وانما الاعمال
 بالنيات ولكل مربي مانوى . حتى اذا اراد الامر ولم يكن

(١) هذا العمل لم تسلكه به العرب الا الصهوب الا ما حكى عن بن

دريد - زهد يزهو وهو اي تكبر

فيما خوله الله من نعمة او مالي او خول او اتباع او صحة او جاه
 فان وجد نفسه مقصرة فيما يلزمه من الشكر لواهبه تعالى
 ووجدها حاشية في العدل فايلم ان اهل العدل والشكر والسيرة
 الحسنة من الخويلين اكثر مما هو فيه افضل منه . فان رأى
 نفسه ملتزمة للعدل فالعامل بعبد عن المعجب البتة لعل
 بخوازين الاشياء ومقادير الاخلاق وانزاهة التوسط الذي
 هو الاعتدال من الطرفين المذمومين . فان اعجب فلم يعدل
 بل قد مال الى جنبه (١) لا فرط المذمومة (واعلم) ان التمسك
 وسوء الملكة لمن خولك الله تعالى امره من رقيق او رعية
 يدلان على خساسة النفس ودناءة الهمة وضعف العقل لان
 الماقل الرقيق النفس العالي الهمة انما يغلب اكفاءه في القوة
 ونظراؤه في النعمة . وما الاستطالة على من لا يمكنه الممارسة
 فسقوط في الطمع ورذلة في الخلق وعجز ومهانة ومن فعل
 ذلك فهو بمنزلة من يتبع قتل جرذ (٢) او يقتل برغوث او
 يفرك قلة وحبك بهذا ضعة وخساسة (واعلم) ان رياضة
 الأتقى أصعب من رياضة الأسد لان الأسد اذا سجن

(١) اي الى ناحيته وجانبه (٢) الجرذ كسر وضرب من المار

الذي فيه. أوله شيء من فروسية فهو يقدر أنه يهزم علياً ويأسر الزبير ويقتل خالداً. أوله شيء من جاء ودخل فهو لا يرى الاسكندر على حال. أو يكون قويا على أن يكسب ما يتوفر يده مؤمل بفضل (١) عن قوته فلو أخذ يقربني الشمس لم يزد على ما هو فيه وليس يكثر العجب من هؤلاء. وإن كانوا عجباً لكن ممن لاحظ له من علم أصلاً ولا نسب البتة ولا مال ولا جاه ولا نجدة بل زعم في كهانة غيره. بهتضماً لكل من له أدنى طاعة وهو يعلم أنه خال من كل ذلك وأنه لا يحفظ له في شيء من ذلك ثم هو مع ذلك في حاله المزهو التباه. ولقد نسبت إلى - وقال بعضهم في رفق ولين عن سبب علو نفسه واحتقاره الناس. فما وجدت عنده مزبداً على أن قال لي أنا حر لست عبداً أحد. فقلت له أكثر من ترأه يشاركك في هذه الهذلية فهم أحرار مثلك الأقوام من العبيد هم أطول منك بدا وأمرهم نافذ عليك وعلى كثير من الأحرار فلم أجد عنده زيادة فرجعت إلى تفتيش أحوالهم ومراجعاتها فافكرت في

(١) كذا الأصل ولعل الصواب مؤملاً أن الفضل حدث عن

قوته الخ

هناك تميز يحجب عن توفية العجب حقه ولا عقل جيد. حدث من ذلك ظهور الاستخفاف بالناس واحتقارهم بالكلام وفي المعاملة حتى إذا أراد ذلك وضمف التميز والعقل ترقى ذلك إلى الاستطالة على الناس بالأيدي واللسان والتحكم والظلم والفضيلان واقتضاء الطاعة لنفسه والخضوع لها إن أمكنه ذلك. فإن لم يقدر على ذلك امتدح بلسانه وقصر على ذم الناس والاستهزاء بهم. وقد يكون العجب لغير معنى ولغير فضيلة في العجب وهذا من عجيب ما يقع في هذا الباب وهو شيء بهيه عامتنا التميز وكثيراً ما رآه في النساء وفيمن عقله قريب من عقولهن من الرجال. وهو عجب من ليس فيه خصلة أصلاً لا علم ولا شجاعة ولا علو حال ولا نسب رفيع ولا مال يطعمه وهو يعلم مع ذلك أنه صفر من ذلك كله لأن هذه الأمور لا يغلط فيها من يقذف بالحجارة وإنما يغلط فيها من له أدنى حظ منها فربما يتوهم أن كان ضيف القمل أنه قد بلغ النهاية القصوى منها. كمن له حظ من علم فهو يظن أنه عالم كامل. ولكن له نسب معروف في ظلمة ويجدهم لم يكونوا أيضاً رفقاء في طلبهم فتجده لو كان ابن فرعون ذي الأوتاد مازداً على إعجابه

فانه يتوهم حينئذ ان كان ضعيف لتمييز انه على الدرجة فيه
ودواء من ذكرنا الدمر والجنول ولا دواء لهم اتجم منه والا
فدأؤهم وضررهم على الناس عظيم جداً فلا نجد لهم الا عيابين
للناس ووقاعين في الاعراض مستترين بالجميع عجائبي
للحقائق مكبين على القبول ورب كانوا مع ذلك متعرضين
للمشاة والمهارة ورعى فسدوا الملاطية والمضاربة عند
أدنى سبب يعرض لهم . وقد يكون العجب كينافى
المرء حتى اذا حصل على ادنى مال اوجاه ظهر ذلك عليه
وعجز عقله عن فهمه وستره . ومن ظريف ما رأيت في بعض
اهل الضمف ان منهم من يخلبه ما يضر من عجة ولده الصغير
وامرئته حتى يصفها بالعقل في الحافل وحتى انه يقول هي
عقل منى وانا تبرك بوصيتها . ولما مدحه اباهما بالجمال
والحسن والماوية فكثير في اهل الضمف جد حتى كانه لو كان
خاطبها ما زاد على ما يقول في ترغيب السامع في وصفها ولا
يكون هذا الا في ضيف العقل عار من العجب بنفسه (العافل)
من لا يفارق ما اوجبه تميزه من بديع ما يقع في الحسد قول الحاسد
اذا سمع انسانا يثرى في علم ما هذا شيء بارد اذ لم يتقدم اليه

ذلك سنين لاعلم السبب الباعث لهم على هذا العجب الذي
لاسبب لهم فلم ازل اختلف ما تطوي عليه قلوبهم بما يبدو من
أحوالهم ومن سرهم في كلامهم فاستقر امرهم على اهم
يقدرون ان عندهم فضل عقل وتميز رأي اصيل لو أمكنهم
الايام من نصريفه لوجدوا فيه تسماء ولا داروا المالك الرفيعه
ولبان فضلهم على سائر الناس ولو ملكوا مالا لا احسنوا نصريفه
فن ما هنا تسرب اليه اليهم وسرى العجب فيهم وهذا مكان
فيه للكلام . شغب عجيب ومعارضه معترضة وهو انه ليس شيء
من الفضائل كالمرء من انرى قوى ظنه في انه استولى عليه
واستمر يقينه في انه قد كل فيه الا العقل والتميز حتى انك تجد
الجنون المطبق والذكر ان الطافع يستغران بالصحيح . والجاهل
الناقص يهزأ بالحكيم ، وافاضل العلماء . والصبيان الصغار يتكلمون
بالكحول والسفهاء الميارين يستخفون بالعقلاء المتصاوين وضمة
النساء يستنقصن عقول اكابر الرجال وآراءهم وبالجملة فكذلك انقص
العقل توهم صاحبه انه أوفر الناس عقلاً وأكمل تمييزاً ولا
يعرض هذا في سائر الفضائل فان العاري منها جملة يدري انه
عار منها وانما يدخل الغلط على من له أدنى حظ منها وان قل

المعابة والاعتذار فانه يحسن تعديد الايدي وذكر الاحسان
وذلك ساية التصح في ماعداها تين الحائتين . لا عيب على من مال
بطبعه لي بعض القبايح ولو انه اشد العيوب واعظم الرذائل ما لم يظهره
يقول و فقل بل يكاد يكون احمدا من اعانه طبعه على الفضائل
ولا تكون معابة الطبع الفاسد الا عن قوة عقل فاضل (الحيانة)
في احرم اشد من الحيانة في الدماء . المرض اعز على الكريم
من المال . ينبغي للكريم ان يصون جسمه غاله ويصون نفسه
بحسبه ويصون عرضه بنفسه ويصون دينه بعرضه ولا يصون
بدنه شيئا اصلا . الحيانة في الاعراض اشد من الحيانة في
الاموال . وبرهان ذلك انه لا يكاد يوجد من لا يخون في
المرض وان قل ذلك منه وكان من اهل الفضل . واما
الحيانة في الاموال وان قت او كثرت فلا تكون الا من
رذل بعيد عن الفضل . القياس في احوال الناس قد يكذب
في اكثر الامور ويبطل في الاغلب واستعمال ما هذه صفته
في الدين لا يجوز . المثلد رض ان يفبن عقله ولعله مع ذلك
يستعظم ان يفبن في ماله فيخطئ في الوجهين معا . لا به لا يكره
التبني في ماله ويستعظمه الا لليم الطبع دقيق الهمة ميهن
(مدونة النفوس)

ولا قاله قبله احد فان سمع من بين ما قد قاله غيره قال هذا
بارد وقد قيل قبله . وهذه طائفة سوء قد نصبت انفسها
للقعود على طريق العلم يصدون الناس عنها اشكر نظرائهم من
الجهال . ان الحكيم لا تنقمه حكمته عند الخبيث الطبع بل
يفتنه خبيثا . مثله وقد شاهدت اقواما ذوي طبائع ردية وقد
تصور في انفسهم الخبيثة ان الناس كلهم على مثل طبائهم
لا يصدقون اصلا بان احدا هو سالم من رذلتهم بوجه من
الوجوه وهذا اسوء ما يكون من فساد الطبع والبعد عن
الفضل والخير ومن كانت هذه صفته لا ترجاله معاملة ابدا
وبالله تعالى التوفيق (العدل) حصن يلج اليه كل حائف
وذلك انك ترى الظالم وغير الظالم اذا راي من يريد ظلمه دعا
الى العدل وانكر الظلم حينئذ وذهه ولا يرى احدا يذم من
العدل فمن كان العدل في طبعه فهو ساكن في ذلك الحصن
الحصين (الاستهانة) نوع من انواع الخيانة اذ قد يخونك من
لا يستهين بك ومن استهان بك فقد خانك لا تصاف . فكل
مستهين خائن . وليس كل خائن مستهينا . لا استهانة بالمتاع
دليل بر ب المتاع . حالان يحسن فيهما ما يقع في غيرهما وهما

بجملته أعدائه (غاية الخير) ان يسلم عدوك من ظلمك ومن تركك ايام للظلم وأما تقريبه فمن شيم النوكي الذين قرب منهم التالف . وغاية الشر ان يسلم صديقك من ظلمك وأما ابعاده فمن فعل من لا عقل له ومن كتب عليه الشقاء . ليس الحلم تقرب الاعداء ولكنه مسالمتهم مع التحفظ منهم . (فلما) رأيت أمرا أمكن فضيع إلا وفات فلم يمكن بعد . نحن الانسان في دهره كثيرة واعظما محته باهل نوعه من الانس . داه الانسان بالناس أعظم من داهه بالسباع الكلبة والافاعي الضارية لان التحفظ من كل ما ذكرنا ممكن ولا يمكن التحفظ من الانس أصلا (الخالب) على الناس : النفاق ومن المعجب انه لا يجوز مع ذلك عندهم الا من تافههم . لو قال قائل في الطبائع مزينة لان أطراف الأعداء تلتقي لم يبعد من الصدوق وقد نجد نتائج الأعداء تتساوى فنجد المرء يبي من القرع ومن الحزن . ونجد فرط المودة يلتقي مع فرط البغضة في تتبع الثمرات . وقد يكون ذلك سببا للتقطيع عند عدم الصبر والانصاف كل من غلبت عليه طبيعة ما فانه وان بلغ الغاية من الحزم والحذر فانه معسروع اذا كويده من قبلها . كثرة المراتب تعلم

النفس . من جهل معرفة القضايل فليتمد على ما أمره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فانه يحتوي على جميع القضايل (رب) يخوف كان التعرز منه سبب وقوعه . رب سر كانت المبالغة في طيه سبب انتشاره . ورب إعراض أبله في الاستراية من ادامة النظر . وصل ذلك كله الافراط الخارج عن حد الاعتدال (الفضيلة) وسبطة بين الافراط والتفريط فكلا الطرفين مدموم والفضيلة بينهما حاشى العقل فانه لا فراط فيه انططا في الحزم خير من الخطا في التضيق . من المعائب ان الفضائل مستحسنة ومستثقلة والردائل مستبغية ومستحقة من أراد الانصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه فانه يلوح له وجهه نفسه . حد الحزم معرفة الصديق من العدو . وغاية الخرق والضعف جهل العدو من الصديق . لا تسلم عدوك لظرك ولا تظلمه وساو في ذلك بينه وبين الصديق وتحفظ منه وإياك وتقريبه واعلاه قدره فان هذا من فعل اللوكي . من ساوى بين عدوه وصديقه في التقريب والرفقة فلم يزد على ان يهد الناس في مودته وسهل عليهم عداوته ولم يزد على استخفاف عدوه له وتمكنه من مقاتله وافساد صديقه على نفسه والحاقه

ودليل ذلك ان الفقر يستعجل ليطرد به الخوف فيبدل المرء ماله كله ليامن . والخوف والفقر يستعجلان ليطرد بهما المرض فيقرر الانسان في طلب الصحة ويستبدل ماله فيها اذا شفق من الموت ويمود عند يقينه به لو بذل ماله كله ويسلم ويثبت والخوف يستعجل ليطرد به الحلم فيقرر المرء بنفسه ليطرد الحلم واشد الناس كلها انما وجع ملازم في عضوماً بعينه . وما النفوس الكريمة فالدال عندها اشد من كل ماذ كرنا وهو اسهل المخوفات عند ذوي النفوس الالوية

فصل في

من غرائب اخلاق النفس ينبي للماقل ان لا يحكم بما يبدو له من استرحام الباكي المظلم وتشكيه وشدة تلو به وتقلبه فقد وقتت من بعض من يفعل هذا على يقين انه الظالم المنعمى المفرط الظلم ورايت بعض المظلومين ساكن الكلام معدوم التشكي مظهر آفة المبالاة فيسبق الى نفس من لا يحقق النظر انه ظالم وهذا مكان ينبي التثبت فيه ومغالبة ميل النفس جملة وان لا يميل المرء مع الصفة التي ذكرنا ولا عليها ولكن يقصد الانصاف بما يوجبه الحق على السواء (من عجائب الاخلاق

صاحبها الكذب لكثرة ضرورته الى الاعتذار بالكذب فيضري عليه ويستسلمه . اعدل الشهود على المطبوع على الصدق . وجهة ظهور الاستربة عليه ان وقع في كذبة او هم بها . واعدل الشهود على الكذاب . لسانه لا تضطربه وتفض بعض كلامه بعضا . المصيبة في الصديق الناكث اعظم من المصيبة به (اشد الناس) استبالاً للميوب بلبنه هو اشد هم استبالاً لها بفعله وتبين ذلك في مشافهات اهل البيداء ومشاومات الارذل البالغين غاية الرذالة من الصناعات الخبيثة من الرجال والنساء كاهل التعيش بالزمر وكنس الحشوش وخادمين في حجازر وكساكني دور اجل المباحة لكراء الجماعات والساسة للدواب . فان كل من ذكرنا اشد اخلاق روميا من بعضهم لبعض القبايح واكثرهم عيبا بالقضائح وهم اوغل الناس فيها واشهرهم بها (اللقاء) يذهب السخام فكان نظر العين للعين يصلح القلوب . فلا يسؤك التقاء صدقك بعدوك فان ذلك يقتصر امره عنده (اشد الاشياء) على الناس الخوف ولحم والمرض والفقر . واشدها كلها ابلاها للنفس اللهم للفقر من المحبوب . وتوقع المكروه . ثم الخوف . ثم الفقر .

السبية لرديه . فلما كانت ما ذكرنا يبيع كان ضده محمودا وهو استيطان الجزع لما في ذلك من الرحمة ولطفه والقهم لقدر الرزية فصيح بهذا . ان الاعتدال هو : ان يكون المرء جزوع النفس صبور الجسد بمعنى انه لا يظهر في وجهه ولا في جوارحه شيء من دلائل الجزع والله التوفيق . لو علم ذو الرأي الفاسد ما استقر به من فساد تديره في السالف لا ينجح بتركه استعماله فيما يتنافى

فصل في مطلق النفس الى ما يستتر عنها من كلام مسموع

أوشي يدني الى المدح وبقاء الذكر

هذان أمران لا يكاد يعلم منهما أحد الا ساقط المهمة

جد أو من رضى نفسه بالرياضة التامة ووقع قوة نفسه الغضبية قما كاملا أو على مداوة شره النفس الى سماع كلام يستر به عنها اورؤية شيء اكتتم به دون ذلك : ففكر فيما غاب عنها من هذا النوع في غير موضعه لذي هو فيه بل في انظار الارض المتباعدة فان اهتم بكل ذلك فهو مجنون تام الجنون عديم عقل البتة . وإن لم يهتم لذلك فهل هذا الذي اختلف به عنه الا ككسائر ما غاب عنه منه سواء ولا فرق . ثم لينزد احتجابا على هواء

ان الغفلة مدمومة وان استعالمها محمود ونما ذلك لان من هو مطبوع على الغفلة يستعالمها في غير موضعها وفي حيث يجب التحفظ وهي مفيب عن فهم الحقيقة فدخلت تحت الجبل فدمت لذلك . وأما المتيقظ الطبع فانه لا يضيع الغفلة الا في موضعها الذي يدم فيه البحث والتقصي ويمدح التفاضل فهما للحقيقة واضربا عن الطيش واستملا للحلم وتكينا للكرم . فلذلك حدثت حالة التفاضل ودمت الغفلة . وكذلك القول في اظهار الجزع وبطائه وفي اظهار العبر وبطائه فان اظهار الجزع عند حلول المصائب مدموم لانه عاجز مغرر عن ملك نفسه فاظهر أمرا لا فائدة فيه بل هو مدموم في الشريعة وقاطعه عما يلزم من الاعمال وعن التأهب لما يتوقع حلوله مما له اشنع من الامر الواقع الذي عنه حدثت الجزع . فلما كان اظهار الجزع مدموما كان اظهار ضده محمودا وهو اظهار الصبر لانه ملك للنفس وطراح لما لا فائدة فيه وقبال على ما يعود وينتفع به في الحال وفي المتأخر وأما استيطان الصبر فدموم لانه ضعف في الحس وقسوة في النفس وقلة رحمة . وهذه الاخلاق سوء لا تكون الا في أهل الشر وخبث الطبيعة وفي النفوس

الفضلاء الصالحين من أصحاب الانبياء السابقين ومن الفلاسفة
والعلماء والاخيار وملوك الأمم الدائرة وبناة المدن الخالية
وتابع الملوك أيضاً الذين قد انقطعت أخبارهم ولم يبق لهم عند
أحد علم ولا لأحد بهم معرفة أصلاً البتة . فهل ضرر من كان
فاضلاً منهم ذلك أو نقص من فضائلهم أو طمس من محاسنهم
أو حط درجتهم عند بارئهم عن وجل . ومن جهل بهذا
الامر فليعلم انه ليس في شيء من الدنيا خبر عن ملوك من
ملوك الاجيال السالفة أبداً مما بأيدي الناس من تاريخ ملوك
بني اسرائيل فقط . ثم ما يبدنا من تاريخ ملوك اليونان والفرس
وكذلك لا يتجاوز التي عام فابن ذكر من عمر الدنيا قبل هـ ولا
أيس قد در وفي وانقطع ونسى البتة . وكذلك قال الله تعالى
ورسلاً لم نقصصهم عليك . وقال تعالى وقرونا بين ذلك كثيراً
وقال تعالى ولدين من بعدهم لا يعلمهم . لا الله) فهل الانسان
وان ذكر برهة من الدهر الا كن خلا قبل من لائم الفارورة
الدين ذكر وانهم نسوا جملة . ثم ليتذكر الانسان في من ذكر
مخير أو بشر هل يزيد ذلك عند الله عز وجل درجة أو
يكسبه فضيلة . لا يكن حازها بفعله . أيام حياته فاذا كان هذا

فليقل بلسان عقله لنفسه يا نفس ارايت اني لم تعلمي ان ههنا
شيئاً اخفى عليك كنت تظلمين اني معرفة ذلك فلا بد من لا
فليقل لنفسه فكوني الآن كما كنت تكونين لو لم تعلمي
بان ههنا شيئاً ستر عنك فتريحي الراحة وتطردى الهم وألم القلب
وتفصح صفة الشر وتلك غنائم كثيرة وأرباح جارية وأعراض
فاضلة سنية يرغب العاقل فيها ولا يزهد فيها الا نام النقص .
وأما من علق وهمه وفكره بان يبعد اسمه في البلاد ويبقى
ذكره على الدهر فليتكبر في نفسه وليقل لها يا نفس ارايت
لو ذكرت بافضل الذكر في جميع اقطار المعمور ابد الابدي الى
انقضاء الدهر ثم لم تبقي ذلك ولا عرفت به . كان في ذلك
سرور او غبطة أم لا ولا بد من لا وسيل الى غيرها البتة
فاذا صح ذلك وتيقن فليقل بقينا انه اذا مات ولا سبيل له الى
علم انه يذكر أو انه لا يذكر وكذلك وان كان حياً اذا لم يبلغه
ثم ليتذكر أيضاً في معنيين عظيمين (أحدهما) كثرة من
خلا من الفضلاء من الانبياء ورسل صلى الله عليهم وسلم
أولا الدين لم يبق على أديم الارض لهم عند أحد من الناس
اسم ولا رسم ولا خبر ولا أثر بوجه من الوجوه . ثم من

الذين بهما استأهنا ان يخاطبنا وسخر لنا مافي السموات وما في الارض من الكواكب والمناصر ثم تفضل علينا من خلقه شيئاً غير الملائكة المقدسين الذين هم عمار السموات فقط فابن نعم النعمين من هذه النعم . فمن قدر ان يشكر محسنا اليه بمساعدته على باطل وبمحاباته فيما لايجوز فقد كفر نعمة عظم النعمين وجعله احسان اجل للحسين اليه ولم يشكروني الشكر حقاً ولا حمد اهل الحمد صلاحاً وهو الله عز وجل . ومن حال بين المحسن اليه وبين الباطل وقامه على مرت الحق فقد شكره حقاً وادي واجب حقه عليه مستوفي والله الحمد اولاً و آخر ا على كل حال (في حضور مجالس العلم) اذا حضرت مجلس العلم فلا يكن حضورك الاحضور مستزيد علماً واجراً لاحضور مستغن بما عندك طالباً اثره تشمها او غريبة تشمها فهذه افعال لا رذل للذين لا يفعلون في العلم ابد . فاذا حصرتها على هذه النية فقد حصلت خير على كل حال . وان لم تحضر على هذه النية بخلوسك في منزلك اروج لبدنك واكرم خلقك واسلم لدينك . فاذا حضرتها كما ذكرنا فالتزم احد ثلاثة اوجه لاربع لها وهي : ما ان تسكت سكوت

كما قلناه فالرغبة في الذكر رغبة غرور ولا معنى له ولا فائدة فيه أصلاً لكن انما ينبغي ان يرغب الانسان في الاستكثار من الفضائل واعمال البر التي يستحق من هي فيه الذكر الجليل والثناء الحسن والمدح وحيد الصفة فهي التي تقربه من بارئه تعالى وتجعله مذكوراً عده عز وجل الذكر الذي ينفعه ويحصل على بقاء فائدته ولا يبدأ بالابد وبالله تعالى التوفيق (شكر المنم فرض واجب) ونما ذلك بالمقارنة له بتل ما احسن فاكثرتهم بالهم باموره بحسن الدفاع عنه . ثم بالوفاء له حياً وميتاً ولن يتصل به من ساقه واهل كذلك . ثم بالتخاضي على وده ونصيحته ونشر محاسنه بالصدق وحلي مساو به مادمت حياً وتورث ذلك عقبك واهل وذك . وليس من الشكر عونك على الآثام وترك نصيحتك فيما يتوخ به دينه ودينه بل من عاون من احسن اليه على باطل فقد غشه وكفر احسانه وظلمه وجعله العاصمه وايضاً فان احسان الله تعالى وانعامه على كل حال اعظم واقدم واهنا من نعمة كل منعم دونه عز وجل فهو تعالى الذي شق لنا الابصار الناظرة وفتق فينا الآذان السامعة ومنعنا الحواس الفاضلة ورزقنا النطق والتمييز

من يريد حفظ نفسه في فهم ماسع ورأى فالتزم به علماء قبوله
ان كان حسنا . وورده ان كان خطأ فخصموا لك ان فعلت ذلك
الاجر لجزيل والحمد الكثير والفضل العظيم (فرض) على
الناس تعلم خير والعمل به فن جمع الامر بين استوفي الفضائل
وما من علمه ولم يعمل به فقد احسن في التعليم وساء في ترك
العمل به تخطت عملا صالحا واخر ساء وهو خسر من اخر لم
يعلمه ولم يعمل به . وهذا الذي لا خير فيه . مثال حالا وقل ذما من
آخر ينهى عن تعلم الخير ويصد عنه . ولولم ينه عن الشر الا
من ليس فيه منه شيء ولا امر بالخير . الا من استوعبه لما نهى
احد عن شر ولا امر بخير بعد النبي صلى الله عليه وسلم .
وحبك بمن أدى ربه الى هذا فسادا وسوء طبع وذم حال

وبالله تعالى التوفيق

تم الكتاب والحمد لله وحده وصلاته وسلامه

على افضل خلقه سيدنا محمد وعلى

اله وصحبه وعترته

الطاهرين أبدا

الى يوم الدين

الجهال فتحصل على اجر النية في المشاهدة وعلى الثناء عليك
بقلة الفضول وعلى كرم المجالسة وودعة من مجالس . فان
تفعل ذلك فاشل سؤال التمتع فتحصل على هذه الاربعة محاسن
وعلى خامسة وهي سترادة العلم . وصفة سؤال التعلم ان تشل عما
لا تدري فالت سؤال عما تدري مسخف وقلة عقل وشغل
لكلامك وقصع لزمانك بم لا فائدة فيه لالك ولا لغيرك
وربما أدى الي اكتساب المداوات وهو بعد عين الفضول .
وباك من ان تراجع مراجعة العالم . وصفة ذلك : ان تمارض
جوابه بما يتخذه نقضا بيانا . فان لم يكن ذلك عندك ولم يكن
عندك الا تكرار قولك او المعارضة بما لا يراه خصمك معارضة
فأمسك . فانك لا تحصل بتكرار ذلك على اجر زائد ولا على
تعليم ولا تعلم بل على التليظ لك وخلصمك والمداوة التي ربما
أدت الى المضرات . وحسبنا الله ونعم الوكيل . واذا ورد
عائك خطاب بلسان أو هجمت على كلام في كتاب فاباك ن
تقابلة مقابلة المناضبة الباعثة على المبالغة قبل ان تبين بطلانه
ببرهان قاطع . وايضا فلا تقبل عليه اقبال المصدق به المستحسن
اياه قبل علمك فتظلم في كلام الوجهين جميعا ولكن اقبال من







